

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين.
قال أبو الحسن. محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، رحمة الله عليه: وفقك الله للصواب، وأعانك عليه،
وجنبك الخطأ، وباعدك منه، وأدام أنس الآداب باصطفائك لها، وحياة الحكمة باقتنائك إياها.
فهتمت - حاطك الله - ما سألت أن أصفه لك من الشعر، والسبب الذي يتوصل به إلى نظمه، وتقريب
ذلك على فهمك، والتأني لتيسير ما عسر منه عليك. وأنا مبين ما سألت عنه، وفاتح ما يستغلغ عليك منه،
إن شاء الله تعالى.

الشعر وأدواته

الشعر - أسعدك الله - كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطبتهم، بما خص به من
النظم الذي إن عدل عن جهته مجتته الأسماع، وفسد على الذوق. ونظمه معلوم محدود، فمن صح طبعه
وذوقه لم ينجح إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطراب عليه الذوق لم يستغن
من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به، حتى تعتبر معرفته الاستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه.
وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه وتكلف نظمه. فمن تعصت عليه أداة من أدواته، لم يكمل له ما
يتكلفه منه، وبان الخلل فيما ينظمه، ولحقته العيوب من كل جهة.

فمنها: التوسع في علم اللغة، والبراعة في فهم الإعراب، والرواية لفنون الآداب، والمعرفة بأيام الناس
وأنسابهم، ومناقبهم ومثالبهم، والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، والتصرف في معانيه، في
كل فن قالته العرب فيه؛ وسلوك مناهجها في صفاقتها ومخاطباتها وحكاياتها وأمثالها، والسنن المستدلة منها،
وتعريضها، وإطنابها وتقصيرها، وإطالبتها وإيجازها، ولطفها وخلابتها، وعذوبة ألفاظها، وجزالة معانيها
وحسن مبانيها، وحلاوة مقاطعها، وإيفاء كل معنى حظه من العبارة، وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ حتى
يرز في أحسن زي وأبهى صورة. وأجتنب ما يشينه من سفساف الكلام وسخيف اللفظ، والمعاني
المستبردة، والتشبيهات الكاذبة، والإشارات المجهولة، والأوصاف البعيدة، والعبارات الغثة، حتى لا يكون
متفاوتاً مرقوعاً، بل يكون كالسبيكة المفرغة، والوشى المنمّم والعقد المنظم، واللباس الرائق، فتسابق معانيه
ألفاظه، فيلنذ الفهم بحسن معانيه كالتنذاد السمع بموتق لفظه، وتكون قوافيه كالقوالب لمعانيه، وتكون
قواعد للبناء يتركب عليها ويعلو فوقها، فيكون ما قبلها مسوقاً إليها، ولا تكون مسوقة إليه، فتتعلق في

مواضعها، ولا توافق ما يتصل بها، وتكون الألفاظ منقاداً لما تراد له، غير مستكرهة، ولا متعبة، لطيفة الموالج، سهلة المخارج. وجماع هذه الأدوات كمال العقل الذي به تتميز الأضداد، ولزوم العلل وإيثار الحسن، واجتناب القبيح، ووضع الأشياء مواضعها.

صناعة الشعر

فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقها، والوزن الذي يسلس له القول عليه. فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبتته، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لقنون القول فيه؛ بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله. فإذا كملت له المعاني، وكثرت الأبيات وفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها وسلكاً جامعاً لما تشتت منها. ثم يتأمل ما قد أداه إليه طبعه ونتجته فكرته، يستقصي انتقاده، ويرم ما وهي منه، ويبدل بكل لقطة مستكرهة لفظة سهلة نقية، وإن اتفقت له قافية قد شغلها في معنى من المعاني، واتفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأول، وكانت تلك القافية أوقع في المعنى الثاني منها في المعنى الأول، نقلها إلى المعنى المختار الذي هو أحسن، وأبطل ذلك البيت أو نقص بعضه، وطلب لمعناه قافية تشاكله، ويكون كالنساج الحاذق الذي يفوف وشيه بأحسن التفويت ويسديه وينيره ولا يهلهل شيئاً منه فيشينه، وكالنفاس الرفيق الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه، ويشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان، وكنائمه الجوهر الذي يؤلف بين النفيس منها والشمين الرائق، ولا يشين عقوده، بأن يفاوت بين جواهرها في نظمها وتنسيقها. وكذلك الشاعر إذا أسس شعره على أن يأتي فيه بالكلام البدوي الفصيح لم يخلط به الحضري المولد، وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخواتها، وكذلك إذا سهل ألفاظه لم يخلط بها الألفاظ الوحشية النافرة الصعبة القيادة، ويقف على مراتب القول، والوصف في فن بعد فن، ويتعمد الصديق والوفيق في تشبيهاته وحكاياته، ويحضر له عند كل مخاطبة ووصف، فيخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات، ويتوقى حطها عن مراتبها، وأن يخلطها بالعامية، كما يتوقى أن يرفع العامية إلى درجات الملوك. ويعد لكل معنى ما يليق به، ولكل طبقة ما يشاكلها، حتى تكون الاستفادة من قوله في وضعه الكلام مواضعه أكثر من الاستفادة من قوله في تحسين نسجه وإبداع نظمه.

ويسلك منهاج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم، وتصرفهم في مكاتبتهم، فإن للشعر فصولا كفصول الرسائل، فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلة لطيفة، فيتخلص من الزل إلى المديح، ومن المديح إلى الشكوى، ومن الشكوى إلى الاستماعة، ومن وصف الديار والآثار إلى وصف الفيافي والنوق، ومن وصف الرعود والبروق إلى وصف الرياض والرواد ومن وصف الظلمة والأعيار إلى وصف الخيل والأسلحة، ومن وصف المفاوز والفيافي إلى وصف الطرد والصيد، ومن وصف الليل والنجوم إلى وصف الموارد والمياه والهواجر والآل، والحرايبي والجنادب. ومن الافتخار إلى اقتصاص مآثر الأسلاف، ومن

الاستكانة والخضوع إلى الاستعتاب والاعتذار، ومن الإباء والاعتياض إلى الإجابة والتسمح، بلطف تخلص وأحسن حكاية، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله، بل يكون متصلاً به ومتمزجاً معه، فإذا استقصى المعنى وأحاطه بالمراد الذي إليه يسوق القول بأبسر وصف وأخف لفظ لم يحتاج إلى تطويله وتكريره. والشعر على تحصيل جنسه ومعرفة أسمه، متشابه الجملة، متفاوت التفصيل، مختلف كاختلاف الناس في صورهم، وأصواتهم، وعقولهم، وحظوظهم وشمائلهم، وأخلاقهم، فهم متفاضلون في هذه المعاني، وكذلك الأشعار هي متفاضلة في الحسن على تساويها في الجنس؛ ومواقعها من اختيار الناس إياها كمواقع الصور الحسنة عندهم، واختيارهم لما يستحسنونه منها. ولكل اختيار يؤثره، وهوى يتبعه، وبغية لا يستبدل بها ولا يؤثر سواها.

وقد جمعنا ما اخترناه من أشعار الشعراء في كتاب سميناه تهذيب الطبع يرتاض من تعاطى قول الشعر بالنظر فيه، ويسلك المنهاج الذي سلكه الشعراء، ويتناول المعاني اللطيفة كتناولهم إياها، فيحتذي على تلك الأمثلة في الفنون التي طرقت أحوالهم فيها. واقتصرنا على ما اخترناه من غير نفي لما تركناه، بل لاستحسان له خصصناه به دون ما سواه، وقد شد عنا الكثير مما وجب اختياره وإيثاره، وإذا استفدناه لحقناه بما اخترناه إن شاء الله تعالى.

فمن الأشعار أشعار محكمة متقنة الألفاظ حكيمة المعاني، عجيبة التأليف إذا نقضت وجعلت نشرًا لم تبطل جودة معانيها، ولم تفقد جزالة ألفاظها. ومنها أشعار موهبة، مزخرقة عذبة، تروق الأسماع والأفهام إذا مرت صفحاً، فإذا حصلت وانتقدت بهرجت معانيها، وزيفت ألفاظها، ومجت حلاوتها، ولم يصلح نقضها لبناء يستأنف منه، فبعضها كلقصور المشيدة، والأبنية الوثيقة الباقية على مر الدهور، وبعضها كالخيام الموتدة التي ترزعزعا الرياح، وتوهيها الأمطار، ويسرع إليها البلى، ويخشى عليها النقوض.

المعاني والألفاظ

وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها، فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض. وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه، وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه، وكم من صارم غضب قد انتضاه من وددت لو أنه انتضاه فهزه ثم لم يضرب به، وكم من جوهرة نفيسة قد شينت بقربنة لها بعيدة منها، فأفردت عن أخواتها المشاكلات لها، وكم من زائف وبهرج قد نفقا على نقادهما، ومن جيد نافق قد بهرج عند البصير بنقده فنفاه سهواً، وكم من زبر للمعاني في حشو الأشعار لا يحسن أن يطلبها غير العلماء بها، والصياقلة للسيوف المطبوعة منها، وكم من حكمة غريبة قد أزدريت لراثثة كسوتها، ولو جليت في غير لباسها ذاك لكشر المشيرون إليها، وكم من سقيم من الشعر قد ينس طبيبه من برئه، عولج سقمه فعاودته سلامته، وكم من صحيح جنى عليه فأرداه حينه. وليس يخلو ما أودعناه اختيارنا المسمى تهذيب الطبع من بناء إن لم يصلح لأن تسكن الأفهام في ظله لم يطل أن ينتفع بنقضه، فبعض البناء يحتاج إليه.

شعر المولدين

وستعثر في أشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم، ولطفوا في تناول أصولها منهم، ولبسوها على من بعدهم، وتكثروا بأبداعها فسلمت لهم عند إدعائها، للطيف سحرهم فيها، وزخرفتهم لمعانيها. والحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع ولفظ فصيح، وحيلة لطيفة، وخلاصة ساحرة. فإن أتوا بما يقصر عن معاني أولئك، ولا يربى عليها لم يتلق بالقبول وكان كالمطرح المملول. ومع هذا فإن من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء، وفي صدر الإسلام، من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحاً وهجاء، وافتخاراً ووصفاً، وترغيباً وترهيباً، إلا ما قد احتمل الكذب فيه في حكم الشعر: من الإغراق في الوصف والإفراط في التشبيه. وكان مجرى ما يوردونه مجرى القصص الحق، والمخاطبات بالصدق، فيحبابون بما يثابون ويثابون بما يحابون.

والشعراء في عصرنا إنما يثابون على ما يستحسن من لطيف ما يوردونه من أشعارهم، وبديع ما يغربون من معانيهم، ويلبغ ما ينظمونه من ألفاظهم ومضحك ما يوردونه من نواذرهم، وأنيق ما ينسجونه من وشي قولهم، دون حقائق ما يشتمل عليه من المدح، والهجاء، وسائر الفنون التي يصرفون القول فيها. فإذا كان المديح ناقصاً عن الصفة التي ذكرناها، كان سبباً لحرمان قائله، والمتوسل به. وإذا كان الهجاء كذلك أيضاً كان سبباً لاستهانة المهجو به وأمنه من سيره، ورواية الناس له، وإذا عتبه إياه وتفكهم بنواذره لا سيما وأشعارهم متكلفة غير صادرة عن طبع صحيح، كأشعار العرب التي سيبلهم في منظومها سيبلهم في منشور كلامهم الذي لا مشقة عليهم فيه.

فينبغي للشاعر في عصرنا أن لا يظهر شعره إلا بعد ثقته بجودته وحسنه وسلامته من العيوب التي نبه عليها، وأمر بالتحرز منها، وهي عن استعمال نظائرها، ولا يضع في نفسه أن الشعر موضع اضطرار، وأنه يسلك سبيل من كان قبله، ويحتج بالأبيات التي عييت على قائلها؛ فليس يقتدى بالمسيء، وإنما الاقتداء بالحسن، وكل واثق فيه مجل له إلا القليل. ولا يغير على معاني الشعر فيودعها شعره، ويخرجها في أوزان ومخالفة لأوزان الأشعار التي يتناول منها ما يتناول، ويتوهم أن تغييره للألفاظ والأوزان مما يستر سرقة، أو يوجب له فضيلة، بل يديم النظر في الأشعار التي قد اخترناها لتلصق معانيها بفهمه، وترسخ أصولها في قلبه، وتصير مواد لطبعه، ويندرب لسانه بألفاظها؛ فإذا جاش فكره بالشعر أدى إليه نتائج ما استفاده مما نظر فيه من تلك الأشعار، فكانت تلك النتيجة كسبيكة مفرغة من جميع الأصناف التي تخرجها المعادن. وكما قد اعترف من واد قد مدته سيول جارية من شعاب مختلفة، وكطيب تركب من أخلاط من الطيب كثيرة، فيستغرب عيانه، ويغمض مستبطنه ويذهب في ذلك إلى ما يحكى عن خالد بن عبد الله القسري، فإنه قال: حفظني أبي ألف خطبة ثم قال لي: تناسها؛ فتناسيتها؛ فلم أرد بعد ذلك شيئاً من الكلام إلا سهل على. فكان حفظه لتلك الخطب رياضة لفهمه، وتهدياً لطبعه، وتلقيحاً لذهنه، ومادة لفصاحته، وسبباً لبلاغته ولسنه وخطابته.

طريقة العرب في التشبيه

واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها، وأدركه عيانها، ومرت به تجاربها وهم أهل وبر: صحوهم البوادي وسقوفهم السماء، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها، وفي كل واحدة منهما في فصول الزمان على اختلافها: من شتاء، وربيع، وصيف، وخريف، من ماء، وهواء، ونار، وجبل، ونبات وحيوان، وجماد، وناطق، وصالمت، ومنتحرك، وساكن، وكل متولد من وقت نشوئه، وفي حال نموه إلى حال انتهائه. فضمنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسها، إلى ما في طبائعها وأنفسها من محمود الأخلاق ومذمومها، في رخائها وشدتها، ورضاها وغضبها، وفرحها وغمها، وأمنها وخوفها، وصحتها وسقمها، والحالات المتصرفة في خلقها، من حال الطقولة إلى حال الهرم، وفي حال الحياة إلى حال الموت. فشبهت الشيء بمثله تشبيهاً صادقاً على ما ذهبت إليه في معانيها التي أرادت أن تأمل أشعارها وفتشت جميع تشبيهاتها وجدتها على ضروب مختلفة تتدرج أنواعها. فبعضها أحسن من بعضه، وبعضها أطف من بعض. فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقص، بل يكون كل مثبه بصاحبه مثل صاحبه، ويكون صاحبه مثله مشتبهاً به صورة ومعنى. وربما أشبه الشيء الشيء صورة وخالفه معنى، وربما أشبهه معنى وخالفه صورة، وربما قاربه وداناه أو شامه. وأشبهه مجازاً لا حقيقة.

فإذا اتفق لك في أشعار العرب التي يحتج بها تشبيه لا تتلقاه بالقبول، أو حكاية تستغر بما فابحث عنه ونقر عن معناه، فإنك لا تعلم أن تجد تحته خبيثة إذا أثرتها عرفت فضل القوم بها، وعلمت أنهم أدق طبعاً من أن يلفظوا بكلام لا معنى تحته. وربما خفى عليك مذهبهم في سنن يستعملونها بينهم في حالات يصفونها في أشعارهم، فلا يمكنك استنباط ما تحت حكاياتهم، ولا تفهم مثلها إلا سماعاً، فأذا وقفت على ما أرادوه لطف موقع ما تسمعه من ذلك عند فهمك.

والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه. كما قال بعض الحكماء: للكلام جسد وروح، فجسده النطق وروحه معناه. فأما ما وصفته العرب، وشبهت بعضه ببعض فما أدركه عيانها فكثير لا يحصر عدده، وأنواعه كثيرة. وسنذكر بعض ذلك ونبين حالاته وطبقاته إن شاء الله تعالى.

المثل الاخلاقية عند العرب

وبناء المدح والهجاء عليها

وأما ما وجدته في أخلاقها ومدحت به سواها، وذمت من كان على ضد حاله فيه فخلال مشهورة كثيرة: منها في الخلق الجمال والبسطة، ومنها في الخلق السخاء والشجاعة، والحلم والحزم والعزم، والوفاء، والعفاف، والبر، والعقل، والأمانة، والقناعة، والغيرة، والصدق، والصبر، والورع، والشكر، والمدارة، والعفو، والعدل والإحسان، وصلة الرحم، وكرم السر، والمواناة، وأصالة الرأي، والأنفة، والدهاء وعلو

الهمة، والتواضع، والبيان، والبشر، والجلد، والتجارب، والنقض والإبرام. وما يتفرع من هذه الخلال التي ذكرناها من قرى الأضياف، وإعطاء العفاة، وحمل المغارم، وقمع الأعداء، وكظم الغيظ، وفهم الأمور، ورعاية العهد، والفكرة في العواقب، والجد، والتشمير، وقمع الشهوات، والإيثار على النفس، وحفظ الودائع، وانجازة، ووضع الأشياء مواضعها، والذب عن الحريم، واجتلاب المحبة، والتنزه عن الكذب، وإطراح الحرص، وإدخار الخامد والأجر، والاحتراز من العدو، وسيادة العشيرة، واجتناب الحسد، والنكايه في الأعداء، وبلوغ الغابات، والاستكثار من الصدق، والقيام بالدية وكبت الحساد، والإسراف في الخير، واستدامة النعمة، وإصلاح كل فاسد، واعتقاد المنن، واستعباد الأحرار بها، وإيناس النافر، والإقدام على بصيرة، وحفظ الجار. وأضداد هذه الخلال: البخل، والجبن، والطيش، والجهل، والغدر، والاعتزاز، والفشل، والفجور، والعقوق، والخيانة، والحرص، والمهانة، والكذب، والهلع، وسوء الخلق، ولؤم الظفر، والخور، والإساءة، وقطيعة الرحم، والنميمة، والخلاف، والدناءة، والغفلة، والحسد، والبغي، والكبر، والعبوس، والإضاعة، والقبح، والدمامة، والقماءة، والابتذال، والخرف، والعجز، والعي. ولتلك الخصال المحمودة حالات تؤكدها، وتضاعف حسنها، وتزيد في جلاله المتمسك بها، كما أن لأضدادها أيضاً حالات تزيد في الخط ممن وسم بشيء منها ونسب إلى استشعار مذمومها، والتمسك بفاضلها، كالجود في حال العسر موقعه فوق موقعه في حال الجدة، وفي حال الصحو أحمد منه في حال السكر، كما أن البخل من الوافر القادر أشنع منه من المضطر العاجز، والعفو في حال المقدرة أجل موقعاً منه في حال العجز، والشجاعة في حال مبارزة الأقران أحمد منها في حال الإحراج ووقوع الضرورة، والعفة في حال اعتراض الشهوات والتمسك من الهوى أفضل منها في حال فقدان اللذات، واليأس من نيلها، والقناعة في حال تبرز الدنيا ومطامعها أحسن منها في حال اليأس وانقطاع الرجاء منها. وعلى هذا التمثيل، وجميع الخصال التي ذكرناها. فاستعملت العرب هذه الخلال وأضدادها، ووصفت بها في حالي المدح والهجاء مع وصف ما يستعد به لها ويتها لاستعماله فيها، وشعبت منها فوناً من القول وضروباً من الأمثال وصنوفاً من التشبيهات ستجدها على تفننها واختلاف وجوهها في الاختيار الذي جمعناه، فتسلك في ذلك منهاجهم، وتحتذي على مثالمهم إن شاء الله تعالى.

عيار الشعر

علة حسن الشعر

وعيار الشعر أن يورد على الفهم الناقد، فما قبله واصطفاه فهو راف، وما محه ونفاه فهو ناقص. والعلة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه، ونفيه للقبیح منه، واهترازه لما يقبله، وتكرهه لما ينفه، إن كل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل ما يتصل بها مما طبعت له إذا كان وروده عليها وروداً لطيفاً باعتدال لا جور فيه، وبموافقة لا مضادة معها، فالعين تألف المرأى الحسن، وتقضى بالمرأى القبيح الكريه، والأنف يقبل المشم الطيب، ويتأذى بالمتن الخبيث، والفم يلتذ بالمذاق الحلو، ويمح البشع المر، والأذن تشوف

للصوت الخفيض الساكن وتنادى بالجهير الهاتل، واليد تنعم باللمس اللين الناعم، وتتأذى بالخشن المؤذي. والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق، والجائز المعروف المؤلف، ويتشوف إليه، ويتجلى له، ويستوحش من الكلام الجائر، والخطأ الباطل، وانحال المجهول المنكر، ويفر منه، ويصدأ له. فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوماً، مصفى من كدر العي، مقوماً من أود الخطأ واللحن، سالماً من جور التأليف، موزوناً بميزان الصواب لفظاً ومعنى وتركيباً اتسعت طرفه، ولطقت مواجحه، فقبله الفهم وارتاح له، وأنس به. وإذا ورد عليه على ضد هذه الصفة، وكان باطلاً محالاً مجهولاً، انسدت طرفه ونفاه واستوحش عند حسه به، وصدىء له، وتأذى به، كتأذى سائر الحواس بما يخالفها على ما شرحناه.

وعلة كل حسن مقبول الاعتدال، كما أن علة كل قبيح منفي الاضطراب. والنفس تسكن إلى كل ما وافق هواها، وتقلق مما يخالفه، ولها أحوال تتصرف بها، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهترت له وحدثت لها أريحية وطرب، فإذا ورد عليها ما يخالفها قلقت وأستوحشت.

وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه ويرد عليه من حسن تركيبه واعتدال اجزائه. فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى وعدوبة اللفظ فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تم قبوله له، واشتماله عليه، وإن قص جزء من أجزائه التي يعمل بها وهي: اعتدال الوزن، وصواب المعنى، وحسن الألفاظ، كان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه. ومثال ذلك الغناء المطرب الذي يتضاعف له طرب مستعمه، المفهم لمعناه ولفظه مع طيب ألحانه. فأما المقتصر على طيب اللحن منه دون ما سواه فناقص الطرب. وهذه حال الفهم فيما يرد عليه من الشعر الموزون مفهوماً أو مجهولاً. وللأشعار الحسنة على اختلافها مواقع لطيفة عند الفهم لا تحد كيفيتها: كمواقع الطعوم المركبة الخفية التركيب اللذيذة المذاق، وكالأرايح الفاتحة المختلفة الطيب والنسيم، وكالنقوش الملونة التقاسيم والأصباغ، وكالإيقاع المطرب المختلف التأليف، وكالملمس اللذيذة الشهية الحس، فهي تلائمه إذا وردت عليه - أعني الأشعار الحسنة للفهم - فيلبثها ويقبلها، ويرتشفها كارتشاف الصديان للبارد الزلال، لأن الحكمة غذاء الروح، فأنجع الأغذية لطفها. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن من الشعر حكمة وقال عليه السلام: ما خرج من القلب وقع القلب، وما خرج من اللسان لم يبعد الآذان. فإذا صدق ورود القول نثراً ونظماً أثلج صدره. وقال بعض الفلاسفة: إن للنفس كلمات روحانية من جنس ذاتها. وجعل ذلك برهاناً على نفع الرقي ونجعتها فيما تستعمل له.

فإذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى، الحلو اللفظ، التام البيان، المعتدل الوزن، مازج الروح ولاءم الفهم، وكان أنفذ من نفث السحر، وأخفى ديبياً من الرقي، وأشد إطباً من الغناء، فسل السخائم وحلل العقد، وسخى الشحيح، وشجع الجبان، وكان كالخمر في لطف ديبه وإهائه، وهزه وإثارته. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحراً.

علة أخرى

ولحسن الشعر وقبول الفهم إياه علة أخرى وهي موافقته للحال التي يعد معناه لها؛ كالمدح في حال المفارقة، وحضور من يكبت بانشاده من الأعداء، ومن يسر به من الأولياء. وكالهجاء في حال مباراة

المهاجى، والخط منه حيث ينكى فيه استماعه له. وكالمراثى في حال جزع المصاب، وتذكر مناقب المفقود عند تأبينه، والتعزية عنه. وكالاعتذار والتنصل من الذنب عند سل سخيمة الخجى عليه، المعتذر إليه. وكالتحريض على القتال عند التقاء الأقران وطلب المغالبة. وكالغزل والنسيب عند شكوى العاشق، واهتياج شوقه وحنينه إلى من يهواه.

صدق العبارة

فإذا وافقت هذه الحالات، تضاعف حسن موقعها عند مستمعها، لا سيما إذا أيدت بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها، والتصريح بما كان يكتتم منها، والاعتراف بالحق في جميعها.

والشعر هو ما إن عري من معنى بديع لم يعر من حسن الديباجة. وما خالف هذا فليس بشعر. ومن أحسن المعاني والحكايات في الشعر وأشدها استفزازاً لمن يسمعها، الابتداء بذكر ما يعلم السامع له إلى أي معنى يساق القول فيه قبل استتمامه، وقبل توسط العبارة عنه، والتعريض الخفي الذي يكون بجفائه أبلغ في معناه من التصريح الظاهر الذي لا ستر دونه. فموقع هذين عند الفهم كموقع البشرى عند صاحبها لتقنة الفهم بحلاوة ما يرد عليه من معناهما.

ضروب التشبيهات

والتشبيهات على ضروب مختلفة. فمنها: تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة، ومنها تشبيهه به معنى، ومنها تشبيهه به حركة، وبطناً وسرعة، ومنها تشبيهه به لوناً، ومنها تشبيهه به صوتاً. وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوي التشبيه وتأكد الصدق فيه، وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له.

فأما تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة فكقول امرئ القيس:
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي
وكقول:

كأن عيون الوحش حول خباتنا ... وأرحلنا الجزع الذي لم يقب
وكقول عدي بن الرقاع:

ترجى أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها
وأما تشبيه الشيء بالشيء لوناً وصورة فكقول امرئ القيس يصف الدرع:
ومسرودة السك موضونة ... تضائل في الطي كالمبرد
تفيض على المرء أردانها ... كفيض الأتي على الجدجد
وكقول النابغة:

تجلو بقادمي حمامة أيكة ... بردا أسف لثاته بالإثم
كالأقحوان غداة غب سماءه ... جفت أعاليه وأسفله ندي
وكقول حميد بن ثور:

على أن سحقاً من رماد كأنه ... حصي إثم بين الصلاة سحق
وأما تشبيه الشيء بالشيء صورة ولوناً وحركة وهيئة فكقول ذي الرمة:
ما بال عينك منها الدمع ينسكب ... كأنه من كلى مفرية سرب
وفراء غرفية أثنى خوارزها ... مشلشل ضيعته بينها الكتب
وكقول الشماخ:

ليلي بالعنيزة ضوء نار ... تلوح كأنها الشعري العبور
إذا ما قلت أحمدها زهاها ... سواد الليل والريح الدبور
وكقول ابن الشماخ: وهو جنادة بن جزري.

والشمس كالمرآة في كف الأشل وكقول امرئ القيس:
جمعت ردينياً كأن سنانه ... سنا هب لم يتصل بدخان
وكقول ليلي الأخيلى:

قوم رباط الخيل وسط يوقم ... وأسنة زرق يخلن نجومها
وأما تشبيه الشيء بالشيء حركة وهيئة فكقول عنتر:
وترى الذباب بما يغني وحده ... هزجاً كفعل الشارب المترنم
غرداً يحك ذراعه بنراعه ... قدح المكب على الزناد الأجدم
وكقول الأعشى:

غراء فرعاء مصقول عوارضها ... تمشي الهويني كما يمشي الوجى الوجل
كأن مشيتها من بيت جارتما ... مر السحابة لا ريث ولا عجل
وكقول حميد بن ثور.

أرقت لبرق آخر الليل يلمع ... سرى دأبا فيه يهب ويهجع
دنا الليل واستن استنانا زفيفه ... كما استن في الغاب الحريق المشيع
وكقوله:

خفا كإقذاء الطير والليل مدبر ... بجثمانه والصبح قد كان يسطع
وكقول ابن هرمة:

ترى ظلها عند الرواح كأنه ... إلى دفاها رأل يحب جنيب
وكقول الآخر.

يضحي بما الحرباء وهو كأنه ... خصم معد للخصومة موفق

وكقول الآخر:

كأن أنوف الطير في عرصاتها ... خراطيم أقلام تخط وتعجم

وأما تشبيه الشيء بالشيء معنى لا صورة فكتشبيه الجواد الكثير العطاء بالبحر والحيا، وتشبيه الشجاع بالأسد، وتشبيه الجميل الباهر الحسن الرواء بالشمس، وتشبيه المهيب الماضي في الأمور بالسيف، وتشبيه العالي الهمة بالنجم، وتشبيه الحليم الركين بالجليل، وتشبيه الحبي بالبكر، وتشبيه العزيز الصعب المرام بالمتوقل في الجبال والسامي في العلو، وتشبيه الفاتئ بالحلم، وبأمس الذاهب. وتشبيه أصداد هذه المعاني بأشكالها على هذا القياس: كاللثيم بالكلب، والجبان بالصفرد، والطائش بالفراش، والدليل بالنقد وبالوتد، والقاسي بالحديد والصخر.

وقد فاز قوم بخلال شهرها بما من الخير والشر وصاروا أعلاماً فيها فربما شبه بهم فيكونون في المعاني التي احتوا عليها وذكروا بشهرتها نجوماً يقتدى بهم، وأعلاماً يشار إليهم كالسموأل في الوفاء، وحاتم في السخاء، والأحنف في الحلم، وسحبان في البلاغة، وقيس في الخطابة، ولقمان في الحكمة، فهم في التشبيه يجرون مجرى ما قدمنا ذكره من البحر والحيا والشمس والقمر والسيف، ويكون التشبيه بهم مدحاً كالتشبيه بها، وكذلك أصدادها. وقوم يذمون فيما شهرها به، يشبه بهم في حال الذم، كما يشبه بهؤلاء في حال المدح: كباقل في العي وهنبة في الحمق، والكسعي في الندامة، والمنزوف صراطاً في الجبن. فالشاعر الحاذق يمزج بين هذه المعاني في التشبيهات لتكثر شواهداها ويتأكد حسنهما، ويتوقى الاقتصار على ذكر المعاني التي يغير عليها دون الإبداع فيها والتلطيف لها لتلا يكون كالشيء المعاد المملول.

أدوات التشبيه

فما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه كأنه أو قلت ككذا، وما قارب الصديق قلت فيه تراه أو تخاله أو يكاد. فمن التشبيه الصادق قول امرئ القيس:

نظرت إليها والنجوم كأنها ... مصايح رهبان تشب لقفال

فشبه النجوم بمصايح رهبان لفرط ضيائها وتعهد الرهبان لمصايحهم وقيامهم عليها لتزهر إلى الصبح، فكذلك النجوم زاهرة طول الليل وتتضاءل للصبح كتضاؤل المصايح له. وقال: تشب لقفال لأن أحياء العرب بالبادية إذا قفلت إلى مواضعها التي تأوي إليها من مصيف إلى مشق، ومن مشق إلى مربع أو قدت نيراناً على قدر كثرة منازلها وقتلتها ليهتدي بها، فشبه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيران واجتماعها في مكان بعد مكان على حسب منازل القفال من أحياء العرب، ويهتدي بالنجوم كما يهتدي القفال بالنيران الموقدة لهم.

وأما تشبيه الشيء بالشيء معنى لا صورة فكقول: النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتنذبذب

فإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وكقوله أيضاً:

فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة ... تمد بها أيد إليك نوازع
وكقوله:

وإنك غيث يعش الناس سيبه ... وسيف أعيرته المنية قاطع
وكقول الأعرشي:

كاهندواني لا يخزيك مشهده ... وسط السيوف إذا ما تضرب اليهم
وكقول زهير:

لو كنت من شيء سوى بشر ... كنت المنير ليلية البدر
ولأنت أجود بالعطاء من ال ... ريان لما جاد بالقطر
ولأنت أشجع من أسامة إذ ... رأب الصريخ ولج في الذعر
ولأنت أحيا من مخدرة ... عنراء تقطن جانب الخدر
ولأنت أين حين تنطق من ... لقمان لما عي بالمكر
وكقول النابغة الجعدي:

فقد بليت وأفاني الزمان كما ... يفني تقلب أقطار الرحي القطبا
وقال الراعي،

وكالسيف إن لا ينته لأن متته ... وحداه إن خاشنته خشنان
وكقول الراعي:

فما أم عبد الله إلا عطية ... من الله أعطاها امرءاً هو شاكر
هي الشمس وافاها الهلال بنوهما ... نجوم بأفاق السماء نظائر
تذكرها المعروف وهي حبية ... وذو اللب أحيانا مع الحلم ذاكر
كما استقبلت غيتا جنوب ضعيفة ... فأسبل ريان العمامة ماطر
وأما تشبيه الشيء بالشيء حركة وبطناً وسرعة فكقول الراعي:

كأن يديها بعد ما انضم بدنها ... وصبوب حاد بالكاب يسوق
يدا ماتح عجلان رخو ملاطه ... له بكرة تحت الرشاء فلوبق
وكقول امرئ القيس:

كأن الحصى من خلفها وأمامها ... إذا نجلته رجلها حذف أعسرا
وكقول الآخر:

كأما الرجلان واليدان ... طالبتا وتر وهاربان
وكقول الأخطل:

وهن عند اغترار القوم ثورتها ... يرهقن مجتمع الأعناق والركب
فهن ثمت يزفي قذف أرجلها ... إهذاب أيد بها يضرين كالعذب
كلمع أيدي مئاكيل مثلبة ... يعين فنيان ضرس الدهر والخطب
وكتقول حميد بن ثور:

من كل يعملة يظل زمامها ... يسعى كما هرب الشجاع المنفر
وكتقول الشماخ:

وكلهن يباري ثني مطرد ... كحبة الطود ولي غير مطرود
وكتقول امرئ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل
أصاح ترى برقاً أريك وميضه ... كلمح اليدين في حبي مكمل
وأما تشبيه الشيء لوناً فكتقول الأعشى:

وسبيبة مما تعتق بابل ... كدم الذبيح سلبتها جربالها
وكتقول حميد بن ثور:

والليل قد ظهرت نحيزته ... والشمس في صفراء كالورس
وكتقول الشماخ:

إذا ما الليل كان الصبح فيه ... أشق كمفرق الرأس الدهين
وكتقول عبيد بن الأبرص:

يا من لبرق أيت الليل أرقبه ... في عارض كمضيء الصبح لماح
وكتقول زهير:

زجرت عليه حرة أرحبية ... وقد صار لون الليل مثل الأرنديج
وكتقول امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... علي بأنواع الموم لبيتلي
وكتقول كعب بن زهير:

وليلة مشتاق كأن نجومها ... تفرقن منها في طيالسة خضر
وكتقول ذي الرمة:

وليل كسربال الغراب ادرعته ... إليك كما احتث اليمامة أجدل
وكتقول ابن هرمة:

وقد لاح للساوي الذي كحل السرى ... على أخريات الليل فتق مشهر
كلون الحصان الأنبط البطن قائما ... تمايل عنه الجل واللون أشقر
وكتقوله:

إلي أن يشق الليل ورد كأنه ... وراء الدجي جاد أغر جواد

وأما تشبيه الشيء بالشيء صوتاً فكقول الشماخ:

أجد كأن صريفها بسديسها ... في البيد صارخة صرير الأخطب
وكقول الراعي:

كأن دوي الحلي تحت ثيابها ... حصاد السفا لاقى الرياح الزعازعا
وكقول الشماخ:

كأن هيفهن بكل فح ... إذا ارتحلوا تأوه نائحات
وكقوله:

إذا أبيض الراموان عنها ترنمت ... ترنم تكلى أوجعتها الجنائر
وكقول الأعشي:

تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت ... كما استعان بريح عشرق زجل
وأما الابتداء بما يحس السامع بما ينقاد إليه القول فيه قبل استتمامه فكقول النابغة:

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم ... عصائب طير تهتدي بعصائب
فقدم في هذا البيت معنى ما تخلق الطير من أجله، ثم أوضحه بقوله:

يصاحبهم حتى يغرن مغارهم ... من الضاريات بالدماء الذوارب
تراهن خلف القوم زوراً كأنها ... جلوس شيوخ في مسوك الأرانب

جوانح قد أيقن أن قبيله ... إذا ما التقى الجمعان أول غالب
لهن عليهم عادة قد عرفنها ... إذا عرضوا الخطي فوق الكواثب

وقول الآخر:

لعمرك ما الناس أثنوا عليك ... ولا مدحوك ولا عظموا
ولو أنهم وجدوا مسلكا ... إلى أن يعيبوك ما أحجموا

فقدم معنى ما ساق إليه الابتداء، فقال في تمامه:

ولكن صبرت لما ألزموك ... وجدت بما لم يكن يلزم

وأنت بفضلك أجاتهم ... إلى أن يقولوا وأن يعظموا

وأما التعريض الذي ينوب عن التصريح، والاختصار الذي ينوب عن الإطالة. فكقول عمرو بن معدي
كرب:

فلو أن قومي أنطقني رماحهم ... نطقت، ولكن الرماح أجرت

أي لو أن قومي اعتنوا في القتال، وصدقوا المصاع، وطعنوا أعداءهم برماحهم فأنطقني بمدحهم وذكر
حسن بلائهم نطقت، ولكن الرماح أجرت أي شقت لساني كما يجز لسان الفصيل، يريد أسكتني.

وكقول الآخر في معناه:

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما ... دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

وَقَوْلِ قَيْسِ بْنِ خُوَيْلِدٍ فِي ضِدِّهِ:

وَكُنَّا أَنَا سَاءً أَنْطَقْتَنَا سَيُوفُنَا ... لَنَا فِي لِقَاءِ الْقَوْمِ جِدٌّ وَكُوكِبٌ

وَقَوْلِ الْآخَرِ:

لِعَمْرِي لَنَعْمَ الْحَيُّ حَيُّ بَنِي كَعْبٍ ... إِذَا نَزَلَ الْخَلْخَالُ مِنْزِلَةَ الْقَلْبِ

يَقُولُ: إِذَا رِبِيعَتُ صَاحِبَةَ الْخَلْخَالِ فَأَبْدَتُ سَاقَهَا وَشَمَرْتُ لِلْهَرَبِ.

وَالْقَلْبُ السَّوَارِ تَبْدِيهِ الْمَرْأَةَ وَتُخْفِي الْخَلْخَالَ إِذَا لَبِسْتَهُنَّ. وَقَدْ قِيلَ فِي مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ أَيْضًا إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا

رِبِيعَتُ لَبِسَتْ الْخَلْخَالَ فِي يَدَيْهَا دَهْشًا.

وَقَوْلِ حَمِيدِ بْنِ ثَوْرٍ:

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابِنِي بَعْدَ صِحَّةٍ ... وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

وَقَوْلِ لَبِيدٍ:

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا ... وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رِبِيعَةٍ أَوْ مَضْرٍ

وَمِنْ الْاِخْتِصَارِ قَوْلِ لَبِيدٍ:

وَبَنُو الرِّيَّانِ أَعْدَاءٌ لَلَا ... وَعَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ذَلَّتْ نَعْمٌ

زَيْنَتْ أَحْسَابَهُمْ أَنْسَابَهُمْ ... وَكَذَلِكَ الْحَلْمُ زَيْنٌ لِلْكَرْمِ

وَمِنْ الْمَدْحِ الْبَلِيغِ الْمَوْجُزِ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ:

وَتَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شِمَائِلًا ... وَمِنْ خَالِهِ وَمِنْ يَزِيدٍ وَمِنْ حَجْرٍ

سَمَاحَةٌ ذَا وَبِرٍّ ذَا وَوَفَاءٌ ذَا ... وَتَأْمَلُ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكَرَ

وَقَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرِ الْخَارِجِيِّ:

يَا أَيُّهَا الْمَتَمَنِّي أَنْ يَكُونَ فَتَى ... مِثْلَ ابْنِ زَيْدٍ لَقَدْ خَلَى لَكَ السَّبِيلَا

أَعْدَدَ نِظَائِرَ أَخْلَاقِ عَدَدْنَ لَهُ ... هَلْ سَبَّ مِنْ أَحَدٍ أَوْ سَبَّ أَوْ بَخَلَا

وَقَوْلِ الْآخَرِ:

عَلِمَ الْغَيْثُ النَّدَى حَتَّى إِذَا ... مَا حَكَاهُ عِلْمُ الْبَاسِ الْأَسَدِ

فَلَهُ الْغَيْثُ مَقَرٌّ بِالْنَدَى ... وَهُوَ الْلَيْثُ مَقَرٌّ بِالْجِلْدِ

وَقَوْلِ الْآخَرِ:

يَا مَنْ نُوْمَلُ أَنْ تَكُونَ خِصَالَهُ ... كَخِصَالِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْصَتَ وَاسْتَمَعَ

فَلَا نَصْحَكَ فِي الْمَشُورَةِ وَالَّذِي ... حَجَّ الْحَجِيجَ إِلَيْهِ فَاقْبَلْ أَوْ فِدَعْ

أَصْدَقَ وَعَفَّ وَبَرَّ وَاصْبِرْ وَاحْتَمِلْ ... وَاحْلَمْ وَكَفَّ وَدَارْ وَاسْمَعْ وَاشْجَعْ

وَقَوْلِ الْآخَرِ:

شَبَّهِ الْغَيْثَ فِيهِ وَاللَيْثَ وَالْبَدْرَ ... رَفَسْمَحٌ وَمَحْرَبٌ وَجَمِيلٌ

فَهَذِهِ أَمْثَلَةٌ لِأَنْوَاعِ التَّشْبِيهَاتِ الَّتِي وَعَدْنَا شَرْحَهَا، وَفِي كِتَابِ تَهْذِيبِ الطَّبَعِ مَا يَسُدُّ الْخَلْلَ الَّذِي فِيهَا، وَيَأْتِي

عَلَى مَا أَغْفَلْنَا وَصَفَهُ وَالِاسْتِشْهَادَ بِهِ مِنْ هَذَا الْفَنِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الأشعار المحكمة وأضدادها

ونذكر الآن أمثلة للأشعار المحكمة الرصف، المستوفاة المعاني، السلسلة الألفاظ، الحسنة الديداجة، وأمثلة لأضدادها. وننبه على الخلل الواقع فيها، ونذكر التي قد زادت قريجة قائلها فيها على عقولهم، والأبيات التي أغرق قائلوها فيما ضمنوها من المعاني، والأبيات التي قصرُوا فيها عن الغايات التي جروا إليها في الفنون التي وصفوها، والقوافي القلقة في مواضعها، والقوافي المتمكنة في مواقعها، والألفاظ المستكرهة، النافرة الشائنة للمعاني التي اشتملت عليها، والمعاني المسترذلة الشائنة للألفاظ المشغولة بها. والأبيات الراتقة سماعاً، الواهية تحصيلاً، والأبيات القبيحة نسجاً وعبارة، العجيبة معنى وحكمة وإصابة.

سنن العرب وتقاليدها

وأمثلة لسنن العرب المستعملة بينها، التي لا تفهم معانيها إلا سماعاً، كما مساك العرب عن بكاء قتلاها حتى تطلب بثأرها، فإذا أدركته بكت حينئذ قتلاها. وفي هذا المعنى:
من كان مسروراً بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نمار
يجد النساء جواسراً يندبنه ... يطلمن أوجههن بالأسحار
قد كن يكنن الوجوه تستراً ... فالآن حين برزن للنظار
يقول: من كان مسروراً بمقتل مالك فليستدل ببكاء نساتنا وندهن إياه على أنا قد أخذنا بثأرنا وقتلنا قاتله.
وككيهم إذا أصاب إيلهم العر والجرى السليم منها ليذهب العر عن السقيم. وفي ذلك يقول النابغة
متمثالاً:

يكلفني ذنب امرئ وتركته ... كذي العر يكوى غيره وهو راتع
وكحكهم إذا أحب الرجل منهم امرأة وأحبته، فلم يشق برقعها ولم تشق هي رداءه فإن حبهما يفسد،
وإذا فعلاه دام أمرهما. وفي ذلك يقول عبد بنى الحسحاس سحيم:

فكم قد شققنا من رداء محبر ... ومن برقع عن طفلة غير عانس
إذا شق برد شق بالبرد مثله ... دواليك حتى كلنا غير لابس
وكتعليقهم الحلي والجلاجل على السليم ليفيق. وفي ذلك يقول النابغة:
يسهد من ليل التمام سليمها ... حللى النساء في يديه قعاقع
ويقول رجل من عذرة:

كأني سليم ناله كلم حية ... ترى حوله حللى النساء موضعا
وكفقتهم عين الفحل إذا بلغت إبل أحدهم ألفاً، فإن زادت عن الألف فقأوا العين الأخرى، يقولون إن ذلك يدفع عنها الغارة والعين. وفي ذلك يقول قائلهم يشكر ربه على ما وهب له:
وهبتها وأنت ذو امتنان ... يفتقاً فيها أعين البعران

وقال بعض العرب ممن أدرك الإسلام يذكر أفعالهم:
وكان شكر القوم عند المن ... كي الصحيحات وفقاً لأعين
وكسقيهم العاشق الماء على خرزة تسمى السلوان فيسلو، ففي ذلك يقول القائل:
يا ليت أن لقلبي من يعلله ... أو ساقياً فسقاه اليوم سلوانا
وقال آخر:

شربت على سلوانه ماء مزنة ... فلا وجديد العيش يا مي ما أسلو
وكإيقادهم خلف المسافر الذي لا يجبون رجوعه ناراً، ويقولون: أبعده الله وأسحقه. وأوقد ناراً إثره. وفي
ذلك يقول شاعرهم.
وذمة أقوام حملت ولم تكن ... لنوقد ناراً إثرهم للتندم
وكضربهم الثور إذا امتنعت البقر من الماء، ويقولون إن الجن تركب الثيران فتصد البقر عن الشراب. قال
الأعشى:

فإني وما كلفتموني وربكم ... ليعلم من أمسى أحق وأحوبا
لكالثور والجن يركب ظهره ... وما ذنبه أن عافت الماء مشربا
وما ذنبه أن عافت الماء باقر ... وما إن تعاف الماء إلا ليضربا
وقال فمشل بن حري:
أترك عامر وبنو عدي ... وتغرم دارم وهم براء
كذاك الثور يضرب بالهراوي ... إذا ما عافت البقر الظماء
وكرمهم أن المقلات - وهي التي لا يبقى لها ولد - إذا وطئت قتيلاً شرباً بقي ولدها. وفي ذلك يقول
القائل:

تظل مقاليت النساء يطأنه ... يقلن ألا يلقي على المرء مئزر
وقال الكميت:
وتظل المؤزرات المقاليت ... يطلن القعود بعد القيام
وإنما يفعل النساء ذلك بالشريف إذا كان مقتولاً غدرًا أو قوة.
وكرمهم أن الرجل إذا خلدت رجله فذكر أحب الناس إليه ذهب عنه الخدر.
وقال كثير:

إذا خلدت رجلي ذكرتك أشتفي ... بذكرك من خدر بما فيهن
وقالت امرأة من بني بكر بن كلاب:
صب محب إذا ما رجله خلدت ... نادى كنيصة حتى يذهب الخدر
وكحذف الصبي منهم سنه إذا سقطت في عين الشمس، وقوله، أبدليني بها أحسن منها، وليجر في ظلمها
إياتك.

سفته إياه الشمس إلا لثاته ... أسف ولم يكمد عليه يأمد

وقال أبو دؤاد:

ألقى عليه إياه الشمس أدرانا

وزعم العرب أن الصبي إذا فعل ذلك لم تنبت أسنانه عوجاً ولا ثعلاً. وقال طرفة بن العبد في ذلك:

بدلته الشمس من منبته ... برداً أبيض مصقول الأشر

وكرعهم أن المهقوع - وهو الفرس الذي به هقعة - وهي دائرة تكون بالفرس فيقال فرس مهقوع إذا ركب رجل فعرق الفرس اغتلمت امراته وطمحت إلى غير بعليها. وقال بعض العرب لصاحب فرس مهقوع: إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت ... حليلته وازداد حراً عجانها فأجابه:

وقد يركب المهقوع من لست مثله ... وقد يركب المهقوع زوج حصان

كعقدهم السلع والعشر في أذنان الثيران؛ وإضرامهم النيران فيها، وإصعادهم إياها على تلك الحالة في جبل يستسقون بذلك ويدعون الله. وهذا إذا حبست السماء قطرها. وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت الثقفي:

سنة ازمة تخيل بالناس ... س ترى للعضاه فيها صريرا

لا على كوكب نوء ولا ... ريح جنوب ولا ترى طحورورا

ويسوقون باقر السهل للطور ... مهازيل خشية ان تورا

سلع ما ومثله عشر ما ... عائل وعالت البيقورا

أي أتقلت البقر بما حلمت من السلع والعشر. وفي هذا المعنى للورل الطائي:

لا در در رجال خاب سعيهم ... يستمطرون لدى الأزمات بالعشر

جاعل أنت بيقوراً مسلعة ... ذريعة لك بين الله والمطر

وكرعهم أن من ولد في القمر رجعت قلفته إلى وراء. فكان كالمختون. دخل امرؤ القيس على قيصر الحمام فرآه فقال فيه:

إني حلفت يميناً غير كاذبة ... إنك أقلف إلا ما جنى القمر

إذا طعنت به مالت عمامته ... كما تجمع تحت الفلكة الوبر

وكرعهم خيطاً يسمونه الرتم في غصن شجرة أو ساقها، إذا سافر أحدهم وتفقد ذلك الخيط عند رجوع المسافر منهم فإن وجده على حاله قضى بان أهله لم تخنه، وإن رآه قد حل حكم بأنها قد خانته. وأنشد في هذا المعنى:

هل ينفعنك اليوم أن همت بهم ... كثرة ما توصي وانعقاد الرتم

وفي معناه أيضاً:

خانتته لما رأت شيباً بمفرقه ... وغرو خلفها والعقد الرتم

وقال الراجز:

به من الجوى لم ... وغره عقد الرتم

وكرعهم أن الرجل إذا أراد قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخل فعثر كما ينهق الحمار، ثم دخلها لم يصبه وباءها. وقال عروة بن الورد في ذلك، وكان خرج مع أصحابه له إلى خيبر يمتارون فخافوا وباءها، فعشروا وأبى عروة أن يفعل، فلما دخلوها وامتاروا وانصرفوا نحو بلادهم لم يبلغوا مكانهم إلا وعامتهم ميت أو مريض إلا عروة، فقال:

لعمرى لمن عثرت من خشية الردى ... فماك الحمير إنني لجزوع
فلا وألت تلك النفوس ولا أتت ... على روضة الأجداد وهي جميع
وكرعهم أن من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه الجن. وفي ذلك يقول الشاعر:
ولا ينفع التعشير إن حم واقع ... ولا دعدع يغني ولا كعب أرنب
قال ابن الأعرابي: قلت لزيد بن كسوة: من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه جنات الحمى وعمار الدار
فقال إي والله وشيطان الحماط، وجان العشيرة، وغول القفر، وكل الخوافي، إي والله وتطفأ عنه نيران
السعالي وتبوخ.

وكرعهم إذا أرادت جنية صبي قوم فلم تقدر عليه، من سن ثعلب أو سن هرة، وأشباه ذلك. فلما رجعت
إلى صواحباتها شرطاً من ذلك قالت: كانت عليه نقرة ثعالب وهررة، والحيض حيض السمرة - وحيض
السمرة شيء يسيل من السمرة في حمرة دم الغزال، فإذا يبس كان أسود فإذا ديف بالماء عاد أحمر كما
كان، ذلك يزابل صبيبتهم. حين تلد المرأة تخط به وجه الصبي ورأسه، وتنقط وجه أمه، تسميه نقطة الماء،
واسم هذا الخط الدودم فهذه الأشياء لا تفهم معانيها إلا سماعاً، وربما كانت لها نظائر في أشعار المحدثين من
وصف أشياء تعرض في حالات غامضة، إذا لم تكن المعرفة بما متقدمة عسر استنباط معانيها واستبرد
المسموع منها. وكقول أبي تمام:

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت ... أعمارهم قيل نضج الثين والعب
وكان القوم الذين وصفهم يتواعدون الجيش الذي كان يزائهم بالقتال، وأن ميعاد فنائهم وقت نضج الثين
والعب وكانت مدة ذلك قريبة في ذلك الوقت، فلما ظفر بهم حلى الطائي قولهم على جهة التقرير
والشماتة، ولولا ما ذهب إليه في هذا المعنى لكان ما أورده من أبرد الكلام وأغثه، على أن قوله: نضجت
أعمارهم، ليس بمستحسن ولا مقبول.

الأبيات المتفاوتة النسخ

فأما هذه الأبيات المستكرهة الألفاظ المتفاوتة النسخ، القبيحة العبارة، التي يجب الاحتراز من مثلها فيقول
الأعشى:

أي الطوف خفت علي الردى ... وكم من رد أهله لم يرم
يريد لم يرم أهله.

وكقول الراعي:

فلما أتاها حبتو بسلاحه ... مضى غير مبهور ومنصله انتضى

يريد: وانتضى منصله.

وكقول عروة بن أذينة:

واسق العدو بكأسه واعلم له ... بالغيب ان قد كان قبل سقاكها

واجز الكرامة من ترى أن لو ... له يوماً بذلت كرامة لجزا كها

فقوله في البيت الأول: وأعلم له بالغيب كلام غث وله رديئة الموقع بشعة المسمع، والبيت الثاني كان مخرجه

أن يقول: واجز الكرامة من ترى، أن لو بذلت له يوماً كرامة لجزا كها.

كقوله أيضاً:

وأعملت المطية في التصابي ... رهيص الخف دامية الأطل

أقول لها هان علي فيما ... أحب فما اشتكاؤك أن تكلي

يريد: أقول لها هان علي فيما أحب أن تكلي فما اشتكاؤك وكقول النابغة:

يصاحبهم حتى يغرن مغارهم ... من الضاريات بالدماء الذوارب

يريد من الضاريات الذوارب بالدماء، وإنما يصح مثل هذا إذا التبس بما قبله، لأن الدماء جمع والذوارب

جمع، ولو كان من الضاريات بالدم الذوارب لم يلتبس، وإن كانت هذه الكلمة حاضرة بين الكلمتين، أعني

بين الضاريات والذوارب اللتين يجب أن تقرنا معاً.

وكقول النابغة أيضاً:

يشرن الثرى حتى يباشرن برده ... إذا الشمس مجت ريقها بالكلاكل

وكقول الشماخ:

تخامض عن برد الوشاح إذا مشت ... تخامض حافي الخيل في الأمعز الوجي

يريد: تخامض حافي الخيل الوجي في الأمعز.

وكقول النابغة الجعدي:

وشمول قهوة بكارهما ... في التباشير من الصبح الأول

يريد: في التباشير الأول من الصبح.

وكقول ذي الرمة:

كأن أصوات من إيغاهن بنا ... أواخر الميس أصوات الفواريج

يريد: كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفواريج من إيغاهن بنا. وكقوله أيضاً:

البرد عنه وهو من ذو جنونه ... أجاري تسهاك وصوت صلاصل

يريد: وهو من جنونه ذو أجاري وكقول عمرو بن قميئة.

لما رأت سانيده ما استعبرت ... لله در اليوم من لامها

يريد: لله در من لامها اليوم.

وكقول أبي حية النميري:

كما خط الكتاب بكف يوماً ... يهودي يقارب أو يزيل
يريد: كما خط الكتاب يوماً بكف يهودي يقارب أو يزيل.

وكقول امرأة من قيس:

لها أخوا في الحرب من لا أخوا له ... إذا خاف يوماً نبوة ودعاهما
وكقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكاً ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

فهذا هو الكلام العث المستكره الغلق، وكذلك ما تقدمه، فلا تجعل هذا حجة ولنجتنب ما أشبهه.

والذي يحتمل فيه بعض هذا إذا ورد في الشعر هو ما يضطر إليه الشاعر عند اقتصاص خبر أو حكاية كلام
إن أزيل عن جهته لم يجز، ولم يكن صدقاً ولا يكون للشاعر معه اختيار، لأن الكلام يملكه حينئذ فيحتاج إلى
اتباعه والانتقاد له، فأما ما يمكن الشاعر فيه من تصريف القول وتمذيب الألفاظ واختصارها وتسهيل
مخارجها، فلا عذر له عند الإتيان بمثل ما وصفناه من هذه الأبيات المتقدمة.

وعلى الشاعر إذا اضطر إلى اقتصاص خبر في عشر دبره تدبيراً يسلس له معه القول ويطرد فيه المعنى. فبني
شعره على وزن يتحمل أن يخشى بما يحتاج إلى اقتصاصه بزيادة من الكلام يخلط به، أو نقص يحذف منه.
وتكون الزيادة والنقصان بسيرين غير مخدجين؛ لما يستعان فيه بهما وتكون الألفاظ المزيدة غير خارجة من
جنس ما يقتضيه، بل تكون مؤيدة له، وزائدة في رونقه وحسنه. كقول الأعشى فيما اقتصه من خبر
السموأل:

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به ... في جحفل كرهاء الليل جرار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجار غير غدار
إذ سامه خططي خسف فقال له ... أعرض علي كذا أسمعهما حار
فقال: غدر وثكل أنت بينهما ... فاختر وما فيهما حظ لمختر
فشك غير قليل ثم قال له: ... اقل أسيرك إني مانع جاري
فإن له خلفاً إن كنت قاتله ... وإن قتلت كريماً غير غوار
مالأ كثيراً وعرضاً غير ذي دنس ... وأخوة مثله ليسوا بأشرار
جروا على أدب مني فلا نرق ... ولا إذا شمر حرب بأغمار
وسوف يخلفه إن كنت قاتله ... رب كريم ويض ذات أطهار
لا سرهن لدينا ضائع مدق ... وكاتمات إذا استودعن أسراري
فقال مقدمة إذ قام يقتله: ... أشرف سموأل فانظر للدم الجاري
أأقتل ابنك صبراً أو تحيء بها ... طوعاً فأنكر هذا أي انكار
فشك أو داجه والصدر في مضض ... عليه منطوياً كاللذع بالنار
واختار أدرعه أن لا يسب بها ... ولم يكن عهداً فيها يختار

وقال: لا أشتري عاراً بمكرمة ... فاختار مكرمة الدنيا على العار
والصبر منه قديماً، شيمة خلق ... وزنده في يالوفاء الثاقب الواري
فانظر إلى استواء هذا الكلام، وسهولة مخرجه، وتمام معانيه وصدق الحكاية فيه، ووقوع كل كلمة موقعها
الذي أريدت له من غير حشد مجتلب ولا خلل شائن. وتأمل لطف الأعشى فيما حكاها واختصره في قوله:
أأقتل ابنك صبراً أو تحيء بها، فأضمر ضمير الهاء في قوله: واختار أدراعه أن لا يسب بها، فتلافى ذلك الخلل
بهذا الشرح، فاستغنى سامع هذه الأبيات عن استماع القصة فيها، ولا شتما لها على الخبر كله بأوجز كلام،
وأبلغ حكاية وأحسن تأليف، وألطف إيحاءة.
عيار الشعر

الأبيات التي اغرق قائلوها في معانيها

فأما الأبيات التي أغرق قائلوها في معانيها فكقول النابغة الجعدي:
بلغنا السماء نجدةً وتكرماً ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً
وكقول الطرماح:

لو كان يُخفَى على الرحمن خافية ... من خلقه خفيت عنه بنو أسد
قومٌ أقام بدار الذلِّ أوْلهم ... كما أقامت عليه جِذمة الوتد
وقوله:

ولو أنَّ حرقوصاً يرقق مكةً ... إذا فهلت منه تميم وعَلَّتِ
ولو أنَّ برغوثاً على ظهرِ نملةٍ ... يكرُّ على صَفِيٍّ تميمٍ لوَلَّتِ
ولو جَمَعَتْ عَلِيًّا تميمٍ جموعها ... على ذرَّةٍ معقولةٍ لاستقلَّتِ
ولو أنَّ أمَّ العنكبوتِ بنت لهم ... مظلتها يوم الندى لاستظلتِ
وكقول زهير:

أو كان يقعدُ فوق الشمسِ من كرمٍ ... قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا
وكقول أبي الطمحان القبيبي:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه
أو كقول امرئ القيس:

من القاصرات الطرفِ لو دبَّ محولٌ ... من النرِّ فوق الإتبِ منها لأثرا
وكقول قيس بن الخطيم:

طعنتُ ابن عبد القيس طعنةً نائرٍ ... لها نفذٌ لولا الشعاعُ أضاءها
ملكته بما كفي فأنهتُ فتحها ... يرى قائمٌ من دونها ما وراءها
وقول الآخر:

ضربته في الملتقى ضربةً ... فزال عن منكبه الكاهلُ

فصار ما بينهما رهوةً ... يمشي بها الراح والنابلُ

وقول أبي وجزة السعدي:

ألا عللاني والمعللُ أروحُ ... وينطق ما شاح اللسان المسرحُ

بإجانة لو أنه خرَّ بازلٌ ... من البُخْتِ فيها ظل للشقِّ يسبح

وكقول النابغة:

وإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن لمتأى عنك واسعُ

خطاطيف حُجْنٍ في حبال متينة ... تمد بها أيدي إليك نوازع

وإنما قال: كالليل الذي هو مدركي ولم يقل: كالصبح، لأنه وصفه في حال سخطه، فشبهه بالليل وهو له،

فهي كلمة جامعة لمعان كثيرة.

ومثله للفرزدق:

لقد خفت حتى لو رأى الموت مقبلاً ... ليأخذني والموت يكره زانراً

لكان من الحجاج أهونُ روعةً ... إذا هو أغفى وهو سام نواظره

فانظر إلى لطفه في قوله: إذا هو أغفى ليكون أشد مبالغة في الوصف إذا وصفه عند إغفاله بالموت، فما ظنك

به ناظراً متأملاً يقظاً ثم نرّه عن الإغفاء فقال: وهو سام نواظره.

وكقول جرير:

ولو وُضِعَتْ فِقَاحُ بِنِي نَمِيرٍ ... على خبث الحديد إذا لذابا

إذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضاباً

وقد سلك جماعة من الشعراء المحدثين سبيل الأوائل في المعاني التي أغرقوا فيها.

وقال أبو نواس:

وأخفت أهل الشرك حتى أنه ... لتخافك النطف التي لم تُخلق

وقال بكر بن الطاح:

لو صال من غضب أبو دُلفٍ على ... بيض السيوف لذبن في الأعماد

قال:

قالوا وينظم فارسين بطعنه ... يوم الهياج ولا يراه جليلاً

لا تعجبوا فلو أن طول قناته ... ميل إذا نظم القوارس ميلاً

قال: فمن الأشعار المحكمة المتقنة المستوفاة المعاني، الحسنه الرصف، السلسلة الألفاظ، التي قد خرجت

خروج النثر سهولة وانتظاماً، فلا استكراه في قوافيها، ولا تكلف في معانيها، ولا داعي لأصحابها فيها قول

زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ... ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... ثمته ومن تخطىء يعمّر فيهرم

ومن لا يصانع في أمور كثيرة ... يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم
وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فييخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يوف لا يذمم ومن يفض قلبه ... إلى مطمن البر لا يتجمجم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه ... يطيع العوالي ركبت كل لهزم
ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه ... يهذم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدواً صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
كقوله:

هنالك إن يستخبلوا المال يخلوا ... وأن يسألوا يعطوا وأن يسسروا يغلوا
وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية يتابها القول والفعل
على أكثرهم حق من يعتر بهم ... وعند المقلين السماحة والبنل
وإن جنتهم ألفت حول يوقم ... مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل
وإن قام منهم حامل قال قاعد ... شكرت فلا غرم عليك ولا جدل
سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم ... فلم يفعلوا ولم يكتبوا ولم يألوا
وما يك من خير أتوه فإنما ... توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه ... وتغرس إلا في منابتها النخل
وكقول أبي ذؤيب:

أمن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع
وإذا المنية أنشيت أظفارها ... ألفت كل تميم لا تنفع
والنفس راغبة إذا رغبها ... وإذا ترد إلى قليل تنفع
وكقول أبي قيس بن الأسلت:

قالت ولم تقصد لقبل الحنا ... مهلاً فقد أبلغت أسماعي
واستنكرت لونا له شاحباً ... والحرب غول ذات أوجاع
من يذقا الحرب يجد طعمها ... مرأ وتبركه بجعجاع
قد حصت البيضة رأسي فما ... أطعم نوماً غير تمجاع
أسعى على جل بني مالك ... كل امرئ في شأنه ساع
أعدت للأعداء فضفاضة ... موضونة كالنهي بالقاع
أحفزها عني بذي رونق ... أبيض مثل الملح قطع
صدق حسام وادق حله ... ومازن أسمر قرأع
بز امرئ مستبسل حادر ... للدهر جلد غير مجزاع

الكيسُ والقوةُ خيرٌ من الإِ... دهانِ والفكةِ والهاعِ
ليس قطعاً مثل قطيِّ ولا الم... رعيُّ في الأقوامِ كالراعي
لا نألمُ القتلَ ونجزِي به الأعداءِ كيل الصاعِ بالصاعِ
بين يدي رجراجةٍ فحمةٍ... ذاتِ عرانيين ودُفاعِ
كأنهم أسدٌ لدى أشبلٍ... تهتُّرُ في غيلٍ وأجزاءِ
هلاً سألتُ القومَ إذ قلَّصتُ... ما كان إبطائي وإسراعي
هل أبذلُ المالَ على حقِّه... فيهم وآبى دعوةِ الداعي
وأضربُ القونس يوم الوغى... بالسيفِ لم يقصر به باعي
وكقول النمر بن تولب:

لعمري لقد أنكرت نفسي اربني ... مع الشيب أبذالي التي أتبدلُ

فصولُ أراها في أدمي بعد ما... يكون كفافُ اللحمِ أو هو أجملُ
كأنَّ محطاً في يدي حارثيةٍ... صناعٌ علت به الجلدُ من علُ
تداركُ ما قبل الشبابِ وبعده... حوادثُ أيامِ تمرُّ وأغفلُ
يوذُ الفتى طولَ السلامةِ جاهداً... فكيف ترى طولَ السلامةِ يفعلُ
وكقول عنترَةَ:

إني أمرؤٌ من خيرِ عبسٍ منصباً... شطري وأحمي سائري بالمنصلِ
وإذا الكتيبةُ أحجمت وتلاحظت... ألفت خيراً من مُعمٍ مُخولِ
والخيل تعلمُ والفوارسُ أنني... فرقت جمعهم بضربةٍ فيصَلُ
إذ لا أبادرُ في المضيقِ فوارسي... أو لا أوكلُ بالرعيلِ الأوَّلِ
إن يلحقوا أكرُّ، وإن يستلحموا... أشدد، وإن يلفوا بضنكٍ أنزل
حين النزولِ يكون غايةً مثلنا... ويفرُّ كلُّ مضللٍ مستوهلِ
ولقد أبيت على الطوى وأظله... حتى أنال به كريمَ المأكَلِ
بكرت تخوفني الخنوفَ كأنني... أصبحت عن غرضِ الخنوفِ بمعزلِ
فأجبتها: إن المنية منهلٌ... لا بُدَّ أن أسقى بذاك المنهلِ
إن المنية لو تمثَّل مُثَلَّت... مثلي إذا نزلوا بضنكِ المنزلِ
والخيل ساهمةُ الوجوهِ كأنما... تسقي فوارسها نقيعَ الحنظلِ
وكقول الأسود بن يعفر:

ماذا أؤملُ بعد آل محرقٍ... تركوا منازلهم وبعد إبادِ
أرض تخيرها لطيب مقلها... كعبُ بنُ مامةٍ وابنُ أم دؤادِ
جرت الرياح على محل ديارهم... فكأنما كانوا على ميعادِ

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة ... في ظل ملكٍ ثابتٍ الأوتادِ
إمّا تريني قد بليت وغازني ... ما نيل من بصري ومن أجلادي
وعصيت أصحاب اللذاذة والصبا ... وأطعت عاذلتي وذلّ قيادي
فلقد أروح إلى التجار مرجلاً ... مذلاً بمالي لينا أجيادي
وكقول الخنساء:

لو أن للدهر مالا كان مُتِلدُهُ ... لكان للدهر صخرٌ مالٌ قُنيان
آبي النصيحة حمالُ العظيمة متلا ... فُ الكريمة لا سقط ولا وان
حامي الحقيقة نسالُ الوديقة ... معتاقُ الوثيقة جلدٌ غيرُ تُنيان
ربأُ مرقبة، مناعٌ مغلقة ... وراد مشربة، قطاع أقران
يعطيك مالا تكاد النفسُ تبدله ... من التلادِ وهوبٌ غيرُ منان
شهادُ أنجبة، حمالُ ألوية ... هباطُ أودية، سرحان قيعان
التاركُ القرنِ مخضوباً أناملُهُ ... كأن في ريطنيه نضخُ أرقان
وكقول القطامي:

والعيش لا عيشَ إلا ما تقرُّ به ... عيناً ولا حالَ إلا سوفَ تُنتقلُ
والناسُ من يلقَ خيراً قاتلون له ... ما يشتهي ولأم المخطيء الهبلُ
قد يدرك المتأني بعضَ حاجته ... وقد يكون من المستعجلِ الرلُّ
وفيها يقول:

يمشين رهواً فلا الأعجازُ خاذلةٌ ... ولا الصدورُ على الأعجازِ تتكلُّ
فهن معترضات والحصى رمضٌ ... والريحُ ساكنة والظلُّ مُعتدلُ
يتبعن سامية العينين تحسبها ... مجنونة أو ترى ما لا ترى الإبلُ
إن ترجعي من أبي عثمان منجحةٌ ... فقد يهون مع المستنجدِ العملُ
أهلُ المدينة لا يجزنك شأهمُ ... إذا تخطأ عبدُ الواحدِ الأجلُ
وكهوله أيضاً:

يقتلنا بحديثٍ ليس يعلمه ... من يتقين ولا مكتومه بادي
فهن يبنذن من قولٍ يصن به ... مواقعُ الماء من ذي الغلة الصادي
من مبلغُ زفرِ القيسي مدحته ... من القطامي قولاً غير أفنادِ

إني وإن كان قومي ليس بينهمُ ... وبين قومك إلا ضربة الهادي
مثن عليك فما استيقنت معرفتي ... وقد تعرّض مني مقتلٌ بادي
فلن أنيكَ بالنعماء مشتمة ... ولن أبذل إحساناً يفسدِ
فإن هجوتك ما تمت مكارمتي ... وإن مدحتُ لقد أحسنت إصفادي

وإن قدرت على يوم جزيت به ... والله يجعل أقواماً بمرصادٍ
أبلغ ربيعةً وأعلاها وأسفلها ... أنا وقيساً توأعدنا لميعادٍ
نقريهم لهذميات نُقدُّ بها ... ما كان خاط عليهم كلُّ زرادٍ
وكقول ذي الرمة:

من آل أبي موسى ترى القومَ حوله ... كأنهم الكراونُ أبصرن بازيًا
فما يغربون الضحكَ إلا تبسماً ... ولا ينسون القولَ إلا تناجياً
لدى ملكٍ يعلو الرجالَ بضوته ... كما يبهر البدرُ النجومَ السوارياً
إذا أمست الشعري العبور كأنها ... مهاةً علت من رملٍ يبرين رايباً
فما مرتع الجيران إلا جفانكم ... تبارون أنتم والشمالُ تبارياً
وكقول سلامة بن جندل:

سوى الثِّقافُ قناها فهي محكمةٌ ... قليلة الزرع من سنٍّ وتركيبٍ
كأنها بأكفِّ القومِ إذا لحقوا ... مواتحُ البئر أو أشطانُ مطلوبٍ
كُنَّا إذا ما أتانا صارحٌ فزعٌ ... كان الصراخُ له قرعَ الظنابيبِ
وشدَّ كورٍ على وجنءٍ ناجيةٍ ... وشدَّ لبدٍ على جرداءٍ سرحوبِ
وكقول المغيرة بن حنبل:

فإن يكُ عارياً ما لقيت فرما ... أتى المرء يومُ السوءِ من حيث لا يدري
ولم أرَ ذا عيش يدومٌ ولا أرى ... زمان الغنى إلا قريباً من الفقرِ
ومن يفتقرُ يعلمُ مكانَ صديقه ... ومن يحى لا يعلمُ بلاءَ من الدهرِ
وإني لأستحي إذا كنت معسراً ... صديقي والخلانُ أن يعلموا عُسري
وأهجر خلاني وما خان عهدهم ... حياءً وإكراماً وما بي من كبرِ
وأكرم نفسي أن ترى بي حاجةً ... إلى أحدٍ دوني وإن كان ذا وفرِ
ولما رأيتُ المالَ قد حيلَ دونه ... وصدتْ وجوهٌ دون أرحامها البترِ
جعلتُ حليفَ النفسِ عصباً ونثرةً ... وأزرقَ مشحوداً كحافية النسرِ
ولا خيرٌ في عيشٍ أمرىءٍ لا ترى له ... وظيفة حق في ثناء وفي أجرِ
وكقول الفرزدق:

ولو أن قوماً قاتلوا الدهرَ قبلنا ... بشيءٍ لقاتلنا المنية عن بشرِ
ولكن فجعنا والرزيةً مثله ... بأبيضِ ميمونِ النقية والأمرِ
أغرُّ أبو العاصي أبوه كأنما ... تفرجت الأثوابُ عن قمرِ بدرِ
فإلا تكنُ هندٌ بكنهه فقد بكت ... عليه الثريا في كواكبها الزُّهرِ
وإنَّ أبا مروانَ بشرٌ أحاكمُ ... ثوى غير متبوعٍ بدمٍ ولا غدرِ
وما أحدٌ ذا فاقَةٍ كان مثلنا ... إليه ولكن لا تقيّةٌ للدهرِ

ألم ترَ أن الأرض هُدَّتْ جبالُها ... وأن نجومَ الليل بعدك لا تسري
ضربت ولم أظلم لبشرٍ بصارمٍ ... شوى فرسٍ بين الجنازة والقبر
أغرَّ صريحياً فلا أعوجَ أمته ... طويلاً أمرته الجياد على شُرِّ
ألست شحيحاً إن ركبتك بعده ... ليوم رهانٍ لو غدوت معي تجري
وقال يرثي بنيه:

ولو كان البكاءُ يرُدُّ شيئاً ... على الباكي بكيت على صقوري
بنيّ أصابهمُ قدرُ المنايا ... وما منهن من أحدٍ مجيري
ولو كانوا بني جيلٍ فمانوا ... لأمسي وهو مختشعُ الصُّخُورِ
إذا حنَّ نوارٌ قهيجٌ منِّي ... حرارة مثل ملتهب السَّعيرِ

حنين الوالدين إذا ذكرنا ... فؤادينا اللذين مع القبور
كأنَّ تشرُّبَ العبرات منها ... هراقتهُ شنتين على بَعيرِ
كأن الليل يجسه علينا ... ضيرارٌ أو يكرُّ إلى ندورِ
كأنَّ نجومه شولٌ تننَّى ... لأدهم في مباركها عقيرِ
وكهولته:

ومحفورة لا ماءَ فيها مهيبةٍ ... لغمي بأعواد المنية بأبها
أناخ إليها أبنائي ضيفي مقامة ... إلى عصابة لا تُستعارُ ثوابها
وكانوا هم المال الذي لا أبيعُهُ ... ودرعي إذا ما الحربُ هرت كلابها
وكم قاتلٍ للجوع قد كان فيهمُ ... ومن حيةٍ قد كان سماً لُعابها
إذا ذكرت أسماؤهم أو دعوتهم ... تكاد حيازيمي تفرُّ صلابها
وإني وأشرافي عليهم وما أرى ... كنفسي إذ هم في فؤادي لبابها
كراكر أرماح تجزَعنَ بعد ما ... أقيمت عواليها وشدَّت حرابها
إذا ذكرت عيني الذين هم لها ... قدى هيجَ مني بالبكاء انسكابها
بنو الأرض قد كانوا بنيّ فعزَّني ... عليهم بأجالِ المنايا كتابها
وداعٍ عليّ اللهُ لو متُّ قد رأى ... بدعوته ما يتقي لو يُجابها
ومن متمنٍ أن أموت وقد بنت ... حياتي له شماً عظاماً قبأها
بقيت وأبقت من قناتي مصيبي ... عشورنة زوراء صماً كعابها
على حدث لو أن سلمى أصابها ... بمثل بنيّ افضَّ عنها هضابها
وما زلت أرمي الحرب حتى تركتها ... كسير الجناح ما تُدقُّ عقابها
وكهول الراعي:

وإني وإياك والشكوى التي قصرت ... خطوي ونأيك والوجد الذي أجدُّ

لكالماء والظالمِ الصديانِ يطلبُه ... هو الشفاء له والريُّ لو يردُّ
صافي العطية راجيه وسائلُه ... سيان أفلح من يعطي ومن يعدُّ
أزرى بأموالنا قوم أمرتْهم ... بالحق فينا فما أبقوا وما قصدوا
أما الفقير الذي كانت حلوبته ... وفق العيال فلم يترك له سبْدُ
واختل ذو الوفير والمثرون قد بقيت ... علا التلاتل من أمواهم عقْدُ
فإن رفعت بهم رأساً نعشتْهم ... وإن لقوا مثلها في قابلِ فسدوا
وكقول أبي النجم العجلي:

والخيل تسبحُ بالكماءِ كأنها ... طيرٌ نمطرُ من ظلالِ عماءِ
يخرجن من رهجِ دُوبنِ ظلاله ... مثل الجنادب من حصي المعزاءِ
يلفظن من وجع الشكيم وعجمه ... زبدًا خلطن بياضه بدماءِ
كم من كريمةٍ معشر أئمنها ... وتركن صاحبها بدار ثواءِ
إن الأعداي لن تنالَ قديمنا ... حتى تنالَ كواكبَ الجوازاءِ
كم في لجيمٍ من أغرَّ كأنه ... صبحٌ يشقُّ طيالس الظلماءِ
بحرٌ يكلل بالسديف جفانهُ ... حتى يموت شمالُ كل شتاءِ
ومجربٌ خضل السنانِ إذا التقى ... رجعت بخاطره صدورُ ظماءِ
صدىءُ القباءِ من الحديد كأنه ... جملٌ تعمده عصيمُ هناءِ
إننا وجدك ما يكون سلاحنا ... حجرُ الأكام ولا عصا الطرفاءِ
ناوى إلى حلق الحديد وقرح ... قُبُّ تشوقٍ نحو كلِّ دُعاءِ
ولقد غدونَ على طهيَّةِ غدوةٍ ... حتى طرقت نساءنا بنساءِ
تلكم مراكبنا وفوق حباننا ... بيض الغضون سوابغ الأثناءِ
قدرن من حلق كأن شعاعها ... تلجُ يطنَ على متون نهاءِ
تحمي الرماح لنا همانا كله ... وتبيحُ بعدُ مسارح الأحماءِ
إن السيوف تجيرنا ونجيرها ... كلُّ يجيرُ بعزةٍ ووفاءِ
لا يبتنين ولا نردُّ حُدودها ... عن حدِّ كلِّ كتيبةٍ خرساءِ

إننا لعملُ بالصفوفِ سيوفنا ... عملُ الحريقِ بيباس الحلفاءِ
وكقول عبد الشارق بن عبد العزى الجهني:

ألا حبيت عنا يا رُدِّينا ... نحيبها وإن كرمت علينا
ردينه لو رأيت غداة جتنا ... على أضماتنا وقد احتويننا
فأرسلنا أبا عمرو ربيئاً ... فقال ألا انعموا بالقوم عينا
ودسُّوا فارساً منهم عشاء ... فلم نغدرُ بفارسهم لدينا

فجاءوا عارضاً برداً وحنناً ... كمثل السيل نركب وازعينا
تنادوا يا لِبُهَيْثَةَ إِذَا رَأَوْنَا ... فقلنا أحسنى صبراً جُهينا
سمعنا دعوةً عن ظهر غيبٍ ... فجلنا جَوْلَةً ثم أروعينا
فلما أن تواقفنا قليلاً ... أنحنا للكلاكلِ فارتمينا
فلما لم تدع قوساً وسهماً ... مشينا نحوهم ومشوا إلينا
تألُّوْ مزنةً برقت لأخرى ... إذا حجلوا بأسيافِ ردينا
شددنا شدةً فقتلت منهم ... ثلاثة فتيةً وقتلت قينا
وشدُّوا شدةً أخرى فجرُّوا ... بأرجلٍ مثلهم ورموا جُوبنا
وكان أخي جوينٌ ذا حفاظٍ ... وكان القتلُ للفتيانِ زينا
فآبوا بالرماحِ مكسَّراتٍ ... وأبنا بالسيوفِ قد انحنينا
وباتوا بالصعيدِ لهم أحاحٌ ... ولو خفت لنا الكلمى سَلِينَا
وكقول المثقب العبدى:

أفاطمُ قبل بينكِ متعيني ... ومعك ما سألتُ كأن تسيبي
فلا تعدي مواعِدَ كاذباتٍ ... تمرُّ بها رياحُ الصيفِ دُوبي
فإني لو تعاندي شمالي ... عنادك ما وصلتُ بها يميني
إِذَا لقطعَها ولقلت يني ... كذلك أجنوي من يجنويني
وفيهما يقول:

وإما أن تكون أخي بحقٍ ... فأعرف منك غثي من سميني
وإلا فاطرِخي واتخذني ... عدواً أتقيك وتتقيني
فما أدري إذا يمت أرضاً ... أريد الخيرَ أيهما يليني
أأخير الذي أنا أبتغيه ... أم الشرُّ الذي هو يبتغيني
وكقول هُشَل بن حري المازني:

إِنَّا مُجْبُوكِ يَا سَلْمَى فَحِينَا ... وَإِنْ سَقَيْتِ كَرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا
إِنَّا بَنِي هُشَلٍ لَا نَدْعِي لِأَبٍ ... عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا
إِنْ تَبْتَدِرْ غَايَةَ يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ ... تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمَصْلِينَا
وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا ... إِلَّا أَفْتَلَيْنَا غَلَامًا سَيِّدًا فِينَا
إِنَّا لِنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْفُسَنَا ... وَلَوْ نَسَامَ بِهَا فِي الْأَيْنِ أَغْلِينَا
بِضِّ مَفَارِقُنَا تَعْلِي مَرَاجِلُنَا ... نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيَدِينَا
إِنِّي لَمَنْ مَعَشَرَ أَفْنَى أَوْائِلُهُمْ ... قَوْلُ الْكِمَاءِ أَلَّا أَيْنَ الْخَمُونَا
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا ... مِنْ فَارِسٍ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا
إِذَا الْكِمَاءُ تَنَحَّوْا أَنْ يِنَالَهُمْ ... حُدُّ الظَّبَاةِ وَصَلْنَاهَا بِأَيَدِينَا

ولا تراهم وإن جَلَّتْ مصيبتُهم ... مع البكاة على من فاتت ييكونا
ونركب الكره أحياناً فيفرجه ... عتاً الحفاظ وأسيفاً تواتينا
وكقول عدي بن زيد التميمي:

كفى واعظاً للمرء أيام دهره ... تروخُ له بالواعظات وتغتدي
بليت وأبليت الرجال وأصبحت ... سنون طوالاً قد أتت دون مولدي
فلا أنا بدعُ من حوادثٍ تعترني ... رجالاً عرت من مثل بؤسى وأسعد
فنفسك فاحفظها من الغيِّ والردي ... متى تغوها يغو الذي بك يقتدي
وإن كانت النعماءُ عندك لا مريء ... فمثلاً بما فاجز المطالب أو زد
إن أنت لم تنفع بودك أهله ... ولم تنك بالبؤسى عدوك فابعد
إذا أنت فاكهت الرجال فلا تلغ ... وقل مثلما قالوا ولا تنزيد

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ... فإن القرين بالمقارن مقتد
إذا أنت طالبت الرجال نواهم ... فغفَّ ولا تطلب بجهد فتتكدي
ستدرك من ذي الفحش حقك كله ... مجلمك في رفقٍ ولما تشدد
فلا تقصرن من سعي من قد ورثته ... وما اسطعت من خيرٍ لنفسك فازدد
وبالصدق فانطق إن نطقت ولا تلم ... وذا النزم فاذمه وذا الحمد فاحمد
عسى سائلٌ ذو حاجة إن منعه ... من اليوم سؤالاً أن يُيسر في غد
وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً ... على المرء من وقع الحسام المهند
إذا ما رأيت الشرَّ يبعث أهله ... وقام جناة الشرِّ للشر فاقعد
وكقول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي:

ثعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها إن الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياها مثلنا ... شباب تسامى للعلا وكهول
وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيزٌ وجار الأكرمين ذليل
لنا جبلٌ يحمله من نجيره ... منيعٌ يردُّ الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرغ لا ينال طويل
ونحن أناسٌ لا نرى القتل سبباً ... إذا ما رآته عامراً وسلول
يقصر حبُّ الموتِ آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فنطول
وما مات منا سيّدٌ حتف أنفه ... ولا طلّ منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الطّباة نفوسنا ... وليست على غير الحديد تسيل
وننكر إن شتتنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول
إذا سيّدٌ منا خلا قام سيّدٌ ... قول لما قال الكرامُ فعول

وما أخذت ناراً لنا دون طارق ... ولا ذمنا في النازلين نزيلُ
وأيامنا مشهودةً في عدونا ... لها غررٌ معلومةٌ وحجولُ
وأسيافنا في كل شرقٍ ومغربٍ ... بما من قراع الدارعين فلولُ
معوذةً ألا تُسلَّ نصالها ... فتغمد حتى يستباح قبيلُ
وكقول مروان بن أبي حفصة:
بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم ... أسودُّ لها في غيل خفان أشيلُ
هم المانعون الجارَ حتى كأنما ... لجارهم بين السماكين منزلُ
بما ليلٌ في الإسلام سادوا ولم يكن ... كأولهم في الجاهلية أولُ
هم القومُ إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيعُ الفاعلون فعالمهم ... وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا
ثلاث بأمثال الجبال حُبهم ... وأحلامهم منها لدى الوزن أثقلُ
فهذه الأشعار وما شاكلها من أشعار القدماء والمحدثين أصحاب البدائع والمعاني اللطيفة الدقيقة تجب روايتها
والتكثُر لحفظها.

الأشعار الغثة المتكلفة النسيج

ومن الأشعار الغثة الألفاظ، الباردة المعاني، المتكلفة النسيج، القلقة القوافي، المضادة للأشعار التي قدمناها،
قول الأعشى:

بانث سعاد وأمسي جبلها اقطعا ... واحتلت العمر فالجدين فالفرعا
لا يسلم منها خمسة أبيات، ونكتها ليوقفَ على التكلف الظاهر فيها:
بانث وقد أسارت في النفس حاجتها ... بعد اتلاف وخير الود ما نفا
تعصي الوشاة وكان الحبُّ آونةً ... مما يُزيّن للمشغوف ما صنعا
وكان شيءٌ إلى شيءٍ فغيره ... دهرٌ يعود على تشتيت ما جمعا
وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادثِ إلا الشيب والصَّلعا
قد يترك الدهرُ في حلقاءٍ راسيةٍ ... وهياً ويُنزلُ منها الأعصم الصدعا
وما طابُك شيئاً لست مُدركه ... إن كان عنك غرابُ البين قد وقعا

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً ... يا ربَّ جنب أبي الإتلاف والوجعا
واستشفعتُ من سراة القومِ ذا شرف ... فقد عصاها أبوها والذي شفعا
مهلاً بنيةً إن المرءَ يبعثه ... همُّ إذا خالط الحيزوم والصَّلعا
عليك مثل الذي صليت واغتمضي ... نوماً فإن لجنب المرء مضطجعاً
واستنجدني قافل الركبانِ وانتظري ... أوب المسافر إن ريتاً وإن سرَّعا

ولا تكوني كمن لا يرتحي أحداً ... لذي اغتراب ولا يرجو له رجعاً
كوني كمثل الذي إذ غابَ واحداً ... أهدت له من بعيد نظرةً جزعاً
ما نظرت ذات أشفار كظرتما ... حقاً كما صدق الذئبي إذ سجعا
إذ قلبت مقلّة ليست بمقرفةٍ ... إنسانَ عين وموقاً لم يكن قمعا
فنظرت نظرةً ليست بكاذبةٍ ... ورفع الآل رأس الكلب فارتفعا
قلت أرى رجلاً في كفه كنفٌ ... أو يخصف النعل ويلى أيةً صنعا
فكذبوها بما قالت فصبّحهم ذو آل ... جيشان يزجي الموت والشّرعا
فاستنزلوا أهل جُوٍّ من مساكنهم ... وهدموا شاخص البنيان فاتصعا
وبلدةٍ يرهب الجوّابُ خشيتها ... حتى تراه عليها بيتغي الشيعا
لا يسمع المرء فيها ما يؤنّسه ... بالليل إلا نثيم البوم والضوّعا
كلفت عمياءها نفسي وشيئني ... همّي عليها إذا ما آلهَا لمعا
بذات لوثٍ عفروناة إذا عثرت ... فاللعن أولى لها من أن يقال لعاً
تخال حقاً عليها كلما ضمرت ... بعد الكلالة أن تستوفي التّسعاً
تلوى بعدقٍ خصابٍ كلما خَطرت ... عن فرج معقومةٍ لم تتبع ربّعا
كأنها بعد ما أفضي النجادُ بها ... بالشّيطين مهاةً تبتغي دَرعا
أهوى لها ضابيء في الأرض مفتحصٌ ... للصيدٍ قدماً خفيّ الشخص إذ خشعا
بأكلب كسراء النبلِ ضاريةٍ ... ترى من القِدّي أعناقها قطعاً
فظلّ يحدّها عن نفس واحداً ... ومثلّه مثلها عن واحدٍ خدعا
حتى إذا غفلت عنه وما شعرت ... أن المنية يوماً أرسلت سُبعاً
دارت لتطعمه لحماً ويفجعها ... بآبن فقد أطمعت لحماً وقد فجعا
فظل ياكلُ منه وهي لاهيةٌ ... صلّو النهارِ تراعى ثيرةً رُتعا
حتى إذا فَيقةٌ في ضرعها اجتمعت ... جاءت لترضع شق النفس لو رضعا
عجلى إلى المعهد الأدنى ففاجأها ... أقطاع مسكٍ وسافت من دمٍ دُفعا
فانصرفت والها ثكلى على عجلٍ ... كلُّ دهاها وكلُّ عندها اجتمعا
وبات قطرٌ وشفانٌ يصفقها ... من ذا لهذا وقلبُ الشاةٍ قد صقعا
حتى إذا ذرّ قرنُ الشمسِ صبّحها ... ذو آل بنهان يبغي صحبه المتعا
بأكلب كسراء النبلِ ضاريةٍ ... ترى من القِدّي أعناقها قطعاً
فتلك لم يترك من خلفها شبيهاً ... إلا الدوائرَ والأظلافَ والرّمعا
أنضيتها بعد ما طال الهبابُ بها ... تَوُمُّ هودّةً لانكسا ولا ورعا
يا هودُ إنك من قومٍ أولى حسبٍ ... لا يفشلون إذا ما آنسوا فرعا
هم الخضرارمُ إن غابوا وإن شهدوا ... ولا يرون إلى جاراقهم خُنعا

قومٌ سيوفُهُمُ أمنٌ لجارهمُ ... يوماً إذا ضمت المخذورة القرعا
وهم إذا الحربُ قد أبدت نواجذها ... مثل السيوفِ وسمُّ عاتقِ نقعا
من يعفُ هودّةٌ أو يحلُّ بساحته ... يكن عليه عيالاً طول ما اجتمعا

وإن تجامعه في الجلى مجامعةً ... يكن هودّةً فيما نابه تبعاً
ومن يرَ هودّةً يسجدُ غير متتب ... إذا تعمم فوق التاج أو وضع
له اكاليلُ بالياقوت قصصها ... صواغها لا ترى عيباً ولا طبعاً
وكلُّ زوجٍ من الديباج يلبسه ... أبو قدامة محبباً بذاك معا
أغرُّ أبلجٌ يُستسقى الغمامُ به ... لو قارعَ الناس عن أحسابهم قرعا
لم يتقص الشيبُ منه فتل مرّته ... وقد تجاوز عنه الجهل فانقشعا
قد حملوه فتيّ السن ما حملت ... أشياخهم فأطاق الحمل واضطلعا
وجربوه فما زادت تجاربهم ... أبا قدامة إلا الحزم فارتفعوا
يرعى إلى قول سادات الرجال إذا ... أبدوا له الحزم أو أن شاء مبتدعا
قد نال أهل شامٍ فضل سؤودده ... وكاد يسمو إلى الجوزاء واطلعا
ثم تناول كلباً في سماوتها ... قدماً سما لجسيم الأمر فافترعوا
قاد الجياد من الجوين منعلّة ... إلى المدائن خاض الموت واثرعوا
لا يرقع الناس ما أوهى وإن جهدوا ... طول الحياة ولا يوهون ما رقعوا
وما يردّ جميعٌ بعد فرّقه ... وما يرد بعد من ذي فرقةً جمعاً
وما مجاورٌ هيت إذ طغى فطما ... يدقُّ آذيه البوصي والشرعا
يحيش طوفائه إذ عبّ محتفلاً ... يكاد يعلو ربا الجرفين مطلعا
هيت له الريحُ فامتدت غواربُه ... ترى حوالبه من مله ثرعوا
يوماً بأجود منه حين تسأله ... إن ضنّ ذو الوفير بالإعطاء أو خدعا
ومثل هودّة أعطى المال سائله ... ومثل أخلاقه من سيء منعا
تلقى له سادة الأقوام تابعة ... كلُّ سيرضى بأن يدعى له تبعوا
يا هودُّ يا خيرٍ من يمشى على قدم ... بحر المواهب للوراد والشرعا
سائل تيمماً بهم أيام صفقتهم ... لما أتوه أسارى كلهم ضرعا
وسط المشقر في عشواء مظلمة ... لا يستطيعون بعد الضرّ منتفعا
لو أطعموا المن والسلوى مكائهم ... لما رأى الناس فيهم مطعماً نجعا
بظلمهم ينطاع الملك إذ غدروا ... فقد حسوا بعد من أنفاسه جرعوا
وقال للملك أطلق منهم مائة ... رسلاً من القول مخفوضاً وما رفعا
فكّ عن مائة منهم أسارهم ... فكّلهم عانيا من غلة خلعا

به تقرب يوم الفصح محتسباً ... يرجوا إلاله بما أسدى وما صنعاً
وما أراد بما نعمى يثابُ بما ... إن قال كلمة معروف بما نفعا
فلا يرون بذاكم نعمةً سبقت ... إن قال قائلنا حقاً بما وسعَى
فهذه القصيدة ستة وسبعون بيتاً التكلف فيها ظاهرٌ بينٌ إلا في ستة أبيات وهي:
تقول بنتي وقد قرّبتُ مرتحلاً ... يا رب جَبَّ أبي الإِتلاف والوجعاً
بذات لوثِ عفرناة إذا عثرت ... فاللعن أدنى لها من أن أقول لعا
بأكلب كسراءِ النبلِ ضاربة ... ترى من القِدِّ في أعناقها قطعاً
يا هوذ إنك من قومٍ أولى حسبٍ ... لا يفشلون إذا ما آنسوا فرعاً
أغرُّ أبلجٍ يستسقى الغمامُ به ... لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا
لا يرقعُ الناسُ ما أوهى وإن جهدوا ... طول الحياة ولا يوهون ما وقعا
وفيها خللٌ ظاهر، ولكنها بالإضافة الى سائر الأبيات نقيّة بعيدة عن التكلف. والذي يوجهه نسجُ الشعرِ أن
يقول: يا رب جنب أبي الإِتلاف والأوجاع أو التلف والوجع.
ومثل هذه القصيدة في التكلف وبشاعة القول قوله أيضاً في قصيدته:
لعمرك ما طول هذا الزمن

فإن يتبعوا أمره يُرشدوا ... وإن يسألوا ماله لا يَضِنُّ
وما إن على قلبه غمرة ... وما إن بعظم له من وهنٍ
وما إن على جاره تلفة ... يساقطها كسقاط اللجنِ
ولم يسع في الحرب سعي امرئ ... إذا بطنة راجعته سكنُ
عليها وإن فاته أكلة ... تلافى لأخرى عظيم العكنِ
يرى همّه أبداً خصره ... وهمك في الغزو لا في السمنِ
فمثل هذا الشعر وما شاكلة يصدىء الفهم ويورث الغم، لا كما يجلو الهم ويشحد الفهم من قول أحمد بن
أبي طاهر:

إذا أبو أحمد جادت لنا يلة ... لم يحمد الأجودان البحرُ والمطرُ
وإن أضاء لنا نورٌ بغرته ... تضاعل الأنور ان الشمسُ والقمرُ
وإن مضى رأيه أو جدَّ عزمته ... تأخر الماضيان السيفُ والقلبرُ
من لم يكن حذراً من حدِّ سطوته ... لم يدر ما المزعجان الخوفُ والحذرُ
حلوا إذا أنت لم تبعث مرارته ... فإن أمرٌ فحلوا عنده الصبرُ
سهل الخلاق إلا أنه حشين ... لين المهزة إلا أنه حجرُ
لا حية ذكر في مثل صولته ... إن صال يوماً ولا الصمصامة الذكرُ
إذا الرجال طغوا أو إذ هم وعدوا ... بالأمر ردُّ عليه الرأي والنظرُ

الجودُ منه عيانٌ لا ارتيابَ به ... إذ جودُ كلِّ جوادٍ عنده خيرٌ
فهذا الشعر من الصفو الذي لا كدرَ فيه.
وأكثر من يستحسن الشعر تقليداً على حسب شهرة الشاعر وتقدم زمانه، وإلا فهذا الشعر أولى
بالاستحسان والاستجادة من كل شعر تقدمه.

المعاني المشتركة السرقات

وإذا تناول الشاعر المعاني التي قد سبقَ إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعب بل وجبَ له
فضل لطفه وإحسانه فيه..

كقول أبي نواس:

وإن جرت الألفاظُ منا بمدحةٍ ... لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني
أخذه من الأحوص حيث يقول:
متى ما أقلُّ في آخرِ الدهرِ مدحةً ... فما هي إلا لابن ليلى المكرمِ
وكقول دعبل:

أحبُّ الشيبَ لما قيلَ ضيفٌ ... كحَيِّ للضيوفِ الناظرينا
أخذه من قول الأحوص أيضاً حيث يقول:
فبان مني شبابي بعد لذته ... كأنما كان ضيفاً نازلاً رحلاً
وكقول دعبل أيضاً:

لا تعجبي يا سلم من رجل ... ضحك المشيبُ برأسه فبكي
أخذه من قول الحسين بن مطير:
كل يوم بأفحوان جديد ... تضحك الأرض من بكاء السماءِ
وكقول أبي نواس:

تدور علينا الراح في عسجديةً ... حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها ... مها تدريها بالقسيِّ الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها ... وللماء ما حازت عليه القلانس
أخذه أبو الحسين بن أحمد بن يحيى الكاتب فقال:

ومدامة لا يبتغي من ربِّه ... أحدٌ جباهُ بما لديه مزيدا
في كأسها صورٌ يُظنُّ لحسنها ... عُرباً برزن من الجنان وغيدا
قد صُفِّ في كاساتها صورٌ حلت ... للشاربين بها كواعبُ غيدا
فإذا جرى فيها المزاج تقسمت ... ذهباً ودرّاً توأمًا وفريدا
فكأنهن لبسن ذاك مجاسداً ... وجعلن ذا لنحورهن عقودا
فهذا من أبداع ما قيل في هذا المعنى وأحسنه.

ويحتاج من سلك هذه السبيل إلى الطاف الحيلة وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها، وتلييسها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها، وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق إليها، فيستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه، فإذا وجد معنىً لطيفاً في تشييب أو غزل استعمله في المديح، وإن وجدته في المديح استعمله في الهجاء؛ وإن وجدته في وصف ناقه أو فرس استعمله في وصف الإنسان، وإن وجدته في وصف إنسان استعمله في وصف بهيمة، فإن عكس المعاني على اختلاف وجوهها غير متعذر على من أحسن عكسها واستعمالها في الأبواب التي يحتاج إليها فيها، وإن وجد المعنى اللطيف في المنثور من الكلام، أو في الخطب والرسائل فتناوله وجعله شعراً كان أخفى وأحسن. ويكون ذلك كالصائغ الذي يذيب الذهب والفضة المصوغين فيعيد صياغتهما بأحسن مما كانا عليه، وكالصباغ الذي يصبغ الثوب على ما رأى من الأصباغ الحسنة.

فإذا أبرز الصائغ ما صاغه في غير الهيئة التي عهد عليها، وأظهر الصباغ ما صبغه على غير اللون الذي عهد قبل، التيس الأمر في المصوغ وفي المصبوغ على رائيهما، فكذلك المعاني وأخذها واستعمالها في الأشعار على اختلاف فنون القول فيها. قيل للعتابي: بماذا قدرت على البلاغة فقال: بحل معقود الكلام؛ فالشعرُ رسائلُ معقودة، والرسائلُ شعرٌ، وإذا فتشت أشعار الشعراء كلها وجدتها متناسبة، إما تناسباً قريباً أو بعيداً. وتجدها مناسبة لكلام الخطباء، وخطب البلغاء، وفقر الحكماء. وسندكر من ذلك ما يكون شاهداً على ما نقول. من ذلك أن عطاء بن أبي سفيان التقفي دخل على يزيد بن معاوية فعزاه عن أبيه وهناه بالخلافة، وهو أول من عزى وهناً في مقام واحد فقال: أصبحت رزيت خليفة الله، وأعطيت خلافة الله، قضى معاوية نجه فيغفر الله ذنبه، ووليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاشكر الله على عظيم العطية، واحتسب عند الله جليل الرزية، وأعظم الله في معاوية أجرك، وأجزل على الخلافة عونك. فأخذ أبو دلامة فقال يرثي المنصور ويمدح المهدي:

عيناى واحدة تُرى مسرورة ... يامامها جدلى، وأخرى تدرى
تبكي وتضحك تارة يسؤها ... ما أنكرت ويسرها ما تعرف
فيسؤها موت الخليفة أولاً ... ويسرها أن قام هذا الأراف
ما إن سمعت ولا رأيت كما أرى ... شعراً أرجله وآخر أنف
هلك الخليفة يال أمة أحمد ... وأتاكم من بعده من يخلف
أهدى لهذا الله فضل خلافة ... ولذاك جنات النعيم وزخرف
فابكوا المصرع خيركم ووليكم ... واستبشروا بقيام ذا وتشرفوا
فأخذته أبو الشيص فقال يرثي الرشيد ويمدح المخلوع:
جرت جواد بالسعد والنحس ... فنحن في وحشة وفي أنس
فالعين تبكي والسن ضاحكة ... فنحن في مآثم وفي عرس
يضحكنا القائم الأمين ... وتبكيها وفاة الإمام بالأمس
بدران، هذا أمس ببغداد في ... الخلد وهذا بطوس في رمس

ولما مات الاسكندر نديه أرسططاليس فقال: طالما كان هذا الشخص واعظاً بليغاً. وما وعظ بكلامه موعظة
قط أبلغ من وعظه بسكوته: فأخذه صالح بن القدوس فقال:
وينادونه وقد صم عنهم ... ثم قالوا وللنساء نجيبُ
من الذي عاق أن تردَّ جواباً ... أيها المقولُ الألدُّ الخطيبُ
إن تكن لا تطيقُ رجعَ جوابٍ ... فيما قد ترى وانت خطيبُ
ذو عظام وما وعظت بشيء ... مثل وعظِ السكوتِ إذ لا تُجيبُ
فاختصره أبو العتاهية في بيت فقال:

وكانت في حياتك لي عظامٌ ... فأنت اليوم أوعظُ منك حيا
وقال ابن عائشة: انصرفت من مجلس فقال لي أبي: ما حدثكم حماد فقلت: حدثنا أن النبي - صلى الله عليه
وسلم - قال: لو لم يلفَ ابن آدم إلا على الصحة والسلامة لكفى بهما داءً. فقال أبي: قاتل الله حميد بن
ثور حيث يقول:

أرى بصري قد خانني بعد صحةٍ ... وحسبك داءً أن تصحَّ وتسلمًا
ولله درُّ النمر بن توبل حيث يقول:

كانت قناتي لا تلبين لغامزٍ ... فألأنها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوت ربي بالسلامة جاهدًا ... ليُصبحني فإذا السلامة داءُ
وحيث يقول أيضاً:

يوذُ الفتى طولَ السلامة جاهدًا ... فكيف تُرى طولَ السلامة يفعلُ
ولله در القائل:

لا يعجبُ المرءُ أن يُقال له ... أمسى فلانٌ لأهله حكماً
إن سرَّه طولُ عيشه فلقد ... أضحي على الوجه طولَ ما سلماً
فسمع محمودُ الوراق هذه الأبيات فقال:

يهوى البقاءَ فإن مدَّ البقاءُ له ... وساعدت نفسه فيها أمانها
أبقى البقاءُ له في نفسه شُغلاً ... لما يرى من تصارييف البلى فيها
فأخذه عبد الصمد بن المعنل فقال:

يهوى البقاءَ رهبةَ الفناء ... وإنما يفنى من البقاء

وربما أحسن الشاعر في معنى ببدعه فيكرره في شعره على عبارات مختلفة، وإذا انقلبت الحالة التي يصفُ
فيها ما يصف، قلب ذلك المعنى ولم يخرج عن حد الإصابة فيه، كما قال عبد الصمد بن المعنل في مدح
سعيد بن سلم الباهلي:

ألا قل لسارق الليل لا تخشَ صلَّةً ... سعيد بن سلمٍ ضوء كلِّ بلاد
فلما مات رثاه فقال:

يا ساريا حيرة ضلاله ... ضوء البلاد قد خبا ذبأه

وكما قال علي بن الجهم:

قالوا حُيست فقلتُ ليس بضائري ... حبس وأي مهنة لا يُعمدُ

أو ما رأيتُ الليث يَألف غيلة ... كَبِراً وأوباش السَّباعِ تردُّدُ

فلما نُصِبَ للناسِ وعُري بالشاذياخ قال:

نصبوا بحمد الله ملء عيونهم ... حسناً وملء صدورهم تبجيلاً

ما غابه أن بُرَّ عنه ثيابه ... فالسيفُ أهولُ ما يُرى مسلولاً

فتشبه في حال حبسه بالسيف مغمداً، وفي حال تعريته بالسيف مسلولاً وبالليث إلفاً لغيله تارة، ومفارقاً لغيله تارة.

ومما يستحسن جداً قول علي بن محمود بن نصر:

لا أظلم الليل ولا أدعي ... أن نجوم الليل ليست تغورُ

ليلي كما شاءت فإن لم تزر ... طال وإن زارت فيلي قصيرُ

وأخذ هذا المعنى من قول الرجل للمعاوية حيث سأله: كيف الزمان عليك فقال: يا أمير المؤمنين أنت الزمان، إذا صلحت صلح الزمان، وإذا فسدت فسدت الزمان.

وكل ما أودعناه هذا الكتاب فأمثلة يقاس عليها أشكأها، وفيها مقنع لمن دقَّ نظره ولطف فهمه، ولو ذهبنا نستقصي كل باب من الأبواب التي أودعناها كتابنا لطال وطال النظر فيه، وف فاستشهدنا بالجزء على

الكل، وآثرنا الاختصار على التطويل.

الشعر الحسنُ اللفظ الواهي المعنى

ومن الأبيات الحسنة الألفاظ المستعذبة الرائقة سماعاً، الواهية تحصيلاً ومعنى، وإنما يستحسن منها اتفاق

الحالات التي وُضعت فيها، وتذكر اللذات بمعانيها. والعبارة عما كان في الضمير منها، وحكايات ما جرى من حقائقها دون نسج الشعر وجودته، وإحكام وصفه وإتقان معناه قول جميل:

فيا حسنها إذ يغسل الدمع كحلها ... وإذ هي تنري الدمع منها الأناملُ

عشية قالت في العتاب قتلني ... وقتلي بما قالت هناك تحاولُ

وكقول جرير:

إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلاً بعينك لا يزال معينا

غَيَضَ من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وكقول الأعشى:

قالت هريرة لما جئت زائرُها ... ويلى عليك وويلى منك يا رجلُ

ويلى الأولى تمدد، وويلى الثانية استكانه.

وكقول قيس بن ذريح:

خليلي هذي زفرة قد غلبتها ... فمن لي بأحرى مثلها قد أطلت

وبي زفراتٍ لو يدمن قتلني ... تسوق التي تأتي التي قد توّلت
وكقول عمر بن أبي ربيعة:

غفلن عن الليل حتى بدا ... تباشير من واضح أسفراً
فممن يعقبن آثارنا ... بأكسية الخز أن تُقفرأ

فالمستحسن من هذه الأبيات حقائق معانيها الواقعة لأصحابها الواصفين لها دون صنعة الشعر وأحكامه، فأما
قول القائل:

ولما قضينا من مني كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو مسح
وشدّت على حُذْبِ المهاري رحالنا ... ولا ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطرافِ الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناقِ المطيِّ الأباطح
هذا الشعرُ هو استشعارُ قاتله لفرحةِ قفوله إلى بلده وسروره بالحاجة التي وصفها، من قضاء حجة وأنسه
برفقائه، ومحادثتهم ووصفه سيل الأباطح بأعناقِ المطي كما تسيل بالمياه. فهو معنى مستوفى على قدر مراد
الشاعر.

وأما المعرض الحسن الذي ابتدل على ما يشاكله من المعاني فكقول كثير.
فقلت لها يا عرُّ كل مصيبةٍ ... إذا وطّنت يوماً لها النفس ذلّت
قد قالت العلماء لو أن كثيراً جعل هذا البيت في وصف حرب لكان أشعر الناس.
وكقول القطامي في وصف النوق:

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلةٌ ... ولا الصدور على الأعجاز تتكلُّ
لو جعل هذا الوصف للنساء دون النوق كان أحسن. وكقول كثير أيضاً:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةٌ ... إلينا مقليةٌ إذا ما تعلّت
قالت العلماء لو قال: البيت في وصف الدنيا لكان أشعر الناس.

ومن الأبيات التي تحلب معانيها للطافة الكلام فيها قول زهير:

تراه إذا ما جنته متهللاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

أخى ثقةً ما تهلكُ الخمرُ ماله ... ولكنه قد يهلكُ المالُ نائله

غدوتُ عليه غدوةً فرأيتُه ... قعوداً لديه بالصريم عواذله

يفديّنه طوراً وطوراً يلمنّه ... وأعيا فما يدرين أين محاتله

فأعرض منه عن كريمٍ مُرّزٍ ... فُعولٍ إذا ما وجدَّ بالأمر فاعله

وقول طفيل الغنوي:

جزى الله عنا جعفرأ حين أزلقت ... بنا فعَلْنَا في الواطنين فرلّت

أبوا أن يملّوتا ولو أن أمنا ... تلاقى الذي لاقوه منا الملمّت

وكقول كثير بن عبد الرحمن الخزاعي:

إذا ما أورد الغزو لم تكن همّة ... حصانٌ عليها نظمٌ ذرٌّ يزيئها
نمته فلما لم تر النهي عاقّة ... بكت فبكى مما شجاها قطينها
وقول ابن هرمة

إني ندرت لئن لقيتكَ سالماً ... أن لا أعالجَ بعدك الأسفارا
وقول حمزة بن بيض:

تقول لي والعيونُ هاجعةٌ ... أقم علينا يوماً فلم أقم
أيّ الوجوه انتجعتَ قلت لها ... وأيّ وجه إلاّ إلى الحكم
متى يقلُّ صاحباً سرادقة ... هذا ابن بيض بالباب يبتسم
قد كنت أسلمت فيك مقتبلاً ... فهات إذا حلّ أعطني سلّمي
وقول الآخر:

نقله لنبؤ حالتيه ... فتخبر منهما كرمًا ولينا
نميلُ على جوانبه كأننا ... نميل إذا نميلُ على أيّنا
وقول أبي العتاهية:

إن المطايا تشتكيك لأنّها ... تفري إليك سباسباً ورمالا
فإذا أتين بنا أتين محفّةً ... وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

الشعر الصحيح المعنى، الرث الصياغة

ومن الحكم العجيبة، والمعاني الصحيحة الرثة الكسوية، التي لم يتوق في معرضها الذي أبرزت فيه قول
القائل:

نُراع إذا الجنائرُ قابلتنا ... ونسكن حين تمضي ذاهبات
كروعة ثلّة لمغارٍ ذئبٍ ... فلما غاب عادت رانعات
وكقول الآخر:

وما المرء إلا كالشهاب وضوؤه ... يحورُ رماداً بعد إذ هو ساطعُ
وما المال والأهلون إلا ودبعةٌ ... ولا بُدَّ أن تُردَّ الودائعُ
وكقول الآخر:

دار العدو تنظراً ... بهم غداً فعل الموارب
فإذا ظفرت بهم ظفرٌ ... ت بمنة إن لم تعاقب
وكقول الآخر:

قدرت على نفسي فأزمتَ قبلها ... فأنت رخي البال والنفسُ تذهبُ
كعصفورةٍ في كفّ طفلٍ يسومها ... ورودَ حياضِ الموتِ والطفلُ يلعبُ
وكقول الآخر:

من يَلُمِ الدَّهْرَ أَلَا ... فالدهرُ غيرُ مُعْتَبَةٍ
أو يتعجَّبُ لصورو ... فِ الدهرِ أو تَقْلِبُهُ
ومن يصاحبُ صاحباً ... ينسب إلى مصطحبه
بزائناتِ رشله ... أو شائناتِ ريبه
وربما غرَّ صحيحاً ... جَرَبَ بِجَرَبِهِ
تعرف ما حالُ الفتى ... في لبسه ومركبه
وفي شأزيزته ... عَنكَ وفي توثيه
عليك أو إصغائه ... إليك أو تحببه
والمرء قد يُنرُكه ... يوماً حمولُ منصبه

المعنى البارع في المعرض الحسن

فأما المعنى الصحيح البارع الحسن، الذي قد أبرز في أحسن معرض وأبهي كسوة، وأرق لفظ، فقول مسلم بن الوليد الأنصاري:

وإني وإسماعيلُ بعد فراقه ... لكالغمدِ يوم الروعِ زايله النصلُ
فإن أغش قوماً بعده أو أزرهم ... فالكالوحش يدنيها من الأنس الخُلُ

التشبيهات البعيدة الغلو

ومن التشبيهات البعيدة التي لم يظلف أصحابها فيها، ولم يخرج كلامهم في العبارة عنها سلساً سهلاً قول النابغة:

تُخْدِي بِيهِمْ أَدْمٌ كَأَنَّ رِحَالَهَا ... عَلَقَ أَرِيْقَ عَلَى مُتُونِ صَوَارِ
وكقول زهير بن أبي سلمى:

فزلَّ عنها وأوفي رأسَ رَقِيَّتِهِ ... كمنصل العترِ دَمِي رأسُهُ التُّسْكُ
وكقول خفاف بن ندبه:

أبقي لها التعدادُ من عتداقها ... ومتونها كخيوطه الكتَّانُ

والعتادات القوائم. أراد أن قوائمها دقت حتى عادت كأنها الخيوط، وأراد ضلوعها فقال متونها وقول بشر بن أبي خازم:

وجرَّ الرامسات بما ذيولا ... كأنَّ شِمالها بعد الدبورِ

رماًدٌ بين أظارٍ ثلاثٍ ... كما وشِمَ النواشِرُ بالنُّورِ

فشبه الشمال والدبور بالرماد.

وكقول أوس بن حجر:

كأن هراً جنينا عند عُرضَتِها ... والنفَّ ديكٌ برجلها وخنزيرٌ
وكقول لبيد بن ربيعة:

فخمةٌ زفراءُ تربي بالعرى ... قردمانياً وتركاً كالبصل
وكقول النابغة الجعدي:

كأنَّ حجاجَ مقلنتها قليبٌ ... من السمقين أحلقَ مستقها
والحجاج لا يغور لأنه العظم الذي يبيت عليه شعر الحاجب وقول ساعدة بن جؤية:
كساها رطبُ الريش فاعتدلت لها ... قداحُ كأعناقِ الطباءِ الفوارقِ
شبه الهام بأعناقِ الطباءِ، ولو وصفها بالدقة كان أولى.

الآبيات التي زادت قريحة قاتليها على عقولهم

ومن الآبيات التي زادت قريحة قاتليها على عقولهم قول كثير:
فإن أمير المؤمنين برفقه ... غزا كامنات الودّ مني فناها
وقوله أيضاً يخاطب عبد الملك:

وما زالت رفاك تسلُّ ضغني ... وتخرج من مكامنها ضيبي
ويرقيني لك الحاوون حتى ... أجابت حيةً تحت الحجاب
وقوله أيضاً:

ألا ليتنا يا عزُّ من غير ربيّةٍ ... بعيان نرعى في الخلاء ونعزُّبُ
كإلانا به عرٌّ فمن يرنا يقلُّ ... على حسننها جرباءُ تعدى وأجربُ
نكون لذي مال كثير مغلّ ... فلا هو يرعانا ولا نحن نطلبُ
إذا ما وردنا منهنَّلاً صاحَ أهلهُ ... علينا فلا نفكُّ نرعى ونضربُ
وددت وبيت الله أنك بكرةٌ ... هجانٌ وأبي مصعبٌ ثم فربُ
فقال له عزة: لقد أردت بي الشقاء الطويل، ومن المنية ما هو أوطأ من هذه الحال.
وكقول الآخر في زبيدة أم محمد الأمين:

أزبيدة ابنة جعفر ... طوي لسائلك المتاب
تُعطين من رجلك ما ... تُعطى الأكفُّ من الرغاب
وكقول جرير بن عطية:

هذا ابن عمي في دمشق خليفةٌ ... لو شئت ساقكم إليّ قطينا
فقليل له: يا أبا حزره لم تصنع شيئاً، أعجزت أن تفخر بقومك حتى تعديت إلى ذكر الخلفاء! وقال له عمر
بن عبد العزيز: جعنتني شرطياً لك. أما لو قلت: لو شاء ساقكم إلي قطينا، لسقتهم إليك عن آخر.
يا بشرُ حقُّ لو جهك التبشيرُ ... هلا غضبت لنا وأنت أميرُ

قد كان حقك أن تقولَ لبارقٍ ... يا آلَ بارقٍ فيمَ سُبَّ جَرِيرُ
فقالَ بشر: أما وجدَ ابنَ اللخناءِ رسولاً غيري وقال: وكقول الأخطل:
ألا سائلَ الجحافِ هلْ هوثائرٌ ... لقتلي أصيبتُ من سَلِيمٍ وِعامِرٍ
فقدر أن يعبرَ الجحافَ بهذا القولِ ويقصرَ به فيه، فأجراه الجحافُ مجرى التحريضِ، ففعلَ بقومه ما دعى
الأخطلُ إلى أن يقول:

لقد أوقعَ الجحافُ بالبشرِ وقعةً ... إلى الهِ منها المشتكى والمعولُ
فلو سكتَ عن هذا بعدَ ذلكَ القولِ الأولِ لكانَ أجملَ به، ثم لم يرضَ حتى أوعدَ وتهددَ عندَ ذلكَ الخليفةَ
فقال:

فإن لم تُغيِّرْها قُريشٌ بملكها ... يَكُنْ عن قُريشٍ مستمارٌ ومرحلٌ
وكهولُه أيضاً:

فلا هَدَى اللهُ قيساً من ضلالتها ... ولا لعاَ لبني ذكوانِ إذ عثروا
ضجُّوا من الحربِ إذا عضتْ غواربهم ... وقيسَ عيلانَ من أخلاقهم الضَّجْرُ
فقال له عبد الملك: لو كانَ كما زعمتَ لما قلت:

لقد أوقعَ الجحافُ بالبشرِ وقعةً ... إلى اللهِ منها المشتكى والمعولُ
وكهول الفرزدق

أوجدتُ فينا غيرَ غلرٍ مُجاشعٍ ... ومُجرَّ جعشٍ والزبيرِ مقالا
فأقرَ بأشياءَ لو سكتَ عنها كانَ أستر.
قال: وكهولُه أيضاً:

وإن تيمماً كلها غيرَ سعدِها ... زعانفُ لولا عزُّ سعدٍ لذتتْ
وقد وضعَ من قومه وهجاهم بهذا القولِ قال: وكهول بشر:
تكن لك في قومي بَدْ يشكرونها ... وأيدي الندي في الصالحين فروضُ
وقول النابغة الجعدي:

وما راها من ربيةٍ غيرَ أهما ... رأت لمتي شابتُ وشابتَ لِداتيا
وأي ربيةٍ أعظمَ من أن رآته قد شاب: وقول الأعشى:
رأت رجلاً غائرَ الوافدين ... منتشلُ النحضِ أعمى ضريباً
وقوله:

وأنكرتني وما كانَ الذي نكرت ... من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلعا
وقوله:

صدتْ هريرةُ ما تكلمنا ... جهلاً بأمِّ خليدٍ حَبَلٍ من تصلُ
أأن رأت رجلاً أعشى أضربَ به ... ريبُ المنونِ ودهرٌ خاتِلُ حَبَلٍ
وكهول الكميث:

إليك يا خيرَ من تضمنتِ الأرضُ ... وإن عاب قولِي العُيُبُ
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يعيب قوله في وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عائب إلا
كافر بالله مشرك.

وقول حسان:

أكرم بقومِ رسولِ الله شعيتهم ... إذا تفرقت الأهواءُ والشيعُ
كان يجب أن يقول: هم شيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن في هذا الكلام جفاء.
وقول جنادة بن نجبة:

من حُبِّها أتمنى أن يُلاقيني ... من نحو بلدتها ناع فينعها
لكي أقول فراقاً لا لقاءَ له ... أو تضمن النفسُ يأساً ثم تسلاها

الشعر القاصر عن الغايات

ومن الأبيات التي قصر فيها أصحابها عن الغايات التي أجروا إليها ولم يسدوا الخلل الواقع فيها معنى ولفظاً
قول امرئ القيس:

فللساق ألهوبٌ وللسوطِ درّةٌ ... وللزجر منه وقعٌ أخرج مهذب
فقليل له: إن فرساً يحتاج إلى أن يستعان عليه بهذه الأشياء لغير جواد.
وقول المسيب بن علس:

وقد أتناسى الهمَّ عند احتضاره ... بناجٍ عليه الصعيرية مكلم
فسمعه طرفة فقال: استتوق الجملة. والصعيرية من سمات النوق.
وقول الشماخ:

فنعم المعتري رحلت إليه ... رحي حيزومها كرحى الطحينِ
وإنما توصف النجائب بصغر الكركرة ولطف الخف.
وقوله:

وأعددت للساقين والرَّجل والنسا ... لجاماً وسرجاً فوق أعوجٍ مختالِ
وإنما يلجم الشدقان لا الساقان. وقول الأعشى
وما مزبذٌ من خليجِ الفراتِ ... جونٌ غواربه تلتطمُ
بأجود منه بما عونه ... إذا ما سماؤهم لم تغمُ
يمدح ملكاً ويذكر أنه إنما يجود بالماعون.
وقوله:

شتان ما يومي على كورها ... ويوم حيانٍ أخي جابر
وكان حيان أشهر وأعلى ذكراً من جابر فأضافه إليه اضطراراً.

وقول عدي بن زيد:

ولقد عديت دوسرةً ... كصلاة القين مذكارا

والمذكار التي تلد الذكران، والمتنات عندهم أحمد.

وقال الشماخ:

بانث سعاد ففي العينين مملولٌ ... وكان في قصرٍ من عهدها طولٌ

كان ينبغي أن يقول: وكان في طول من عهدها قصر، أو يقول: وصاري في قصر من عهدها طول.

وقول أبي داؤد الإيلدي:

لو أنّها بذلت لذي سقم ... مرّة الفؤادٍ مشارفُ القبضِ

أئسُّ الحديثِ لظلّ مكتئباً ... حرّانٍ من وجدٍ بما مضى

لو أنه قال: يذهب سقمه، لكان أبلغ لنعته.

وقول أبي ذؤيب:

ولا يُهنئ الواشين أن قد هجرتها ... وأظلم دوني ليّها ونهارها

كان ينبغي أن يقول: وأظلم دونها ليّلي ونهاري.

وقوله:

عصاني إليها القلبُ إني لأمره ... سميعٌ فما أدري أرشدٌ طلابها

كان ينبغي أن يقول: أم غي، فقص العبارة.

وقول ساعدة بن جؤبة:

فلو نبأتك الأرضُ أو لو سمعتهُ ... لآيقنت أني كدت بعدك أكمدُ

لو قال: إني بعدك كمد، لكان أبلغ من قوله: كدت أكمد.

وقول ابن أحر:

غادرنِي سهمه أعشى وغادرهُ ... سيف ابن أحر يشكو الرأسَ والكبدا

أراد: غادرنِي سهمه أعور فلم يمكنه، فقال أعشى.

وقول طرفة:

كأن جناحي مضرحيّ تكنّفا ... حفافيه شكا في العسيبِ بمسردِ

وإنما توصف النجائب بدقة شعر الذنب وخفته، وجعله هذا كثيفاً طويلاً عريضاً.

وقول امرئ القيس:

وأركب في الروع خيفانَةً ... كسا وجهها سعفٌ مُنتشرٌ

شبه ناصيتها بسعف النخل لطولها، وإذا غطى الشعر العين لم يكن الفرس كريماً: وقول الحطيئة:

ومن يطلب مساعي آل لأي ... تصعده الأمورُ إلى علاها

كان ينبغي أن يقول: من طلب مساعيهم عجز عنها وقصر ن بلوغها فأما إذا تساوى بهم غيرهم فأى فضل

لهم. وقوله:

صفوفٌ وماذِي الحديدِ عليهم ... ويضُّ كأولاد النعام كثيف
شبه البيض باولاد النعام، أراد بيض النعام.

وقول لبيد العامري:

ولقد أُعْرِصُ بالخِصمِ وقد ... أملاً الجفنة من شحم القلِّ
أراد السنام، ولا يسمى السنام شحماً وقوله:
لو يقومُ الفيلُ أو فيألهُ ... زَلَّ عن مثل مقامي وزَحَلَّ
وليس للفيل مثل أيد الفيل فيذكره.

ولقوله النابغة الذبياني:

ماضي الجنانِ أحي صبر إذا نَزَلت ... حربٌ يوائل منها كلُّ تنبالٍ
التنبال القصير من الرجال، فإن كان كذلك فكيف صار القصير أولى بطلب الموتل من الطويل، وإن جعل
التنبال الجبان فهو أعيب لأن الجبان خائف وجل، اشتدت به الحرب أم سكنت، وإن كان عن مثل قول
الهمذاني:

يكرُّ على المصاف إذا تعادى ... من الأهوال شجعانُ الرجال
وقول طرفة بن العبد:

من الزمرات أسبل قدامها ... وضرتها مركبةٌ ذرورُ
لا يكون القادمان إلا لما له آخرون، وتلك الناقة التي لها أربعة أخلاف. ومثله قول امرئ القيس:
إذا مسَّت قوادمها أرئتُ ... كأنَّ الحيَّ بينهم نعيُّ
وقول المسيب بن علس:

فتسلَّ حاجتها إذا هي أعرضت ... بخميصةٍ سرح اليدين وساعٍ
وكان قنطرةً بموضع كورها ... ملساءً بين عوامض الأنساع
وإذا أطفت بها أطفت بكلكلٍ ... نبض الفرائض مجفراً الأضلاع
فكيف تكون خميصة وقد شبهها بالقنطرة لا تكون إلا عظيمة، وقال هي مجفرة الأضلاع، فكل هذا ينقض
ما ذكره من الخمص.

قال: وقول الخطيئة:

حرجٌ يلاوذ بالكناسِ كأنه ... متطرفٌ حتى الصباح يدورُ
حتى إذا ما الصبحُ شق عمودَهُ ... وعلاه أسطع لا يردُّ منيرُ
وحصى الكتيب بصفحته كانه ... صدأ الحديدِ أطارهن الكثيرُ
زعم أنه لم يزل يطوف حتى أصبح وأشرف على الكتيب فمن أين الحصى بصفحته.

الشعر الرديء النسخ

ومن الأبيات المستكرهه الألفاظ القلقه القوافي، الرديئة النسخ فليست تسلم من عيب يلحقها في حشوها
أو قوافيها، أو ألفاظها، أو معانيها، قول أبي العيال الهذلي:
ذكرتُ أخي فعاودني ... صداع الرأسِ والوصبُ
فذكر الرأس مع الصداع فضل.

وقول أوس بن حجر:
وهم لمقلّ المالِ أولادُ علةٍ ... وإن كان محضاً في العمومة مخلولا
فقوله المال مع مقل فضل.
وكقول عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الخزرجي:
قيدت وقد لان هاديها وحارِكها ... والقلبُ منها مطارُ القلبِ محذورُ
وكقول الآخر:
ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بما هندُ ... وهندُ أتى من دونها النأيُ والبعدُ
فقوله البعد مع ذكر النأي فضل.
وكقول الأعشى:
فرميت غفلةً عينه عن شأته ... فأصبتُ حبةً قلبها وطحائها
وقوله:

استأثر الله فالوفاءِ وبالعدل ... وأولى الملامةَ الرجالا
وقول الحطيئة:
قروا جارك العيمان لما جفوته ... وقلص عن برد الشارب مشافره
أراد شفثيه.

وقول المزرد داعي الزنج:
فما برح الولدان حتى رأيتَه ... على البكرِ يمره بساقٍ وحافرِ
يريد بساقٍ وقدم.
وقول حسان:

وتكلفي اليومَ الطويلَ وقد ... صرّت جناديه من الظهرِ
أراد بالظهر حر الظهيرة.
وقول المتلمس

إن تسلكي سبيلَ الموماة منجدةً ... ما عاش عمرو، وما عمّرت قابوسُ
أراد ما عاش عمرو وما عمر قابوس.
وقوله:

من القاصرات سجوفُ الحجال ... لم ترَ شمساً ولا زمهريرا

أراد لم تر شمساً ولا قمرأً، ولم يصبها حر ولا برد.

وقول علقمة بن عبدة:

كأنهم صابت عليهم ساحةٌ ... صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ دَيْبُ

وقوله:

يحملن أترجةً نضحَ العبيرِ بما ... كأن تطياها في الأنف مَشْمُومٌ

وقول عامر بن الطفيل:

تناولته فاحتل سيفي ذبابةً ... شرا سيفه العلياً وجدَّ المعاصما

وقول خفاف بن ندبة:

إن تعرضي وتضني بالنوالِ لنا ... فواصلين إذا واصلت أمثالي

وقول علقمة بن عبدة:

طحابك قلبٌ في الحسان طروبٌ ... بُعيدَ الشبابِ عصرَ حانِ مشيبُ

الشعر المحكم النسج

ومن القوافي الواقعة في مواضعها، المتمكنة من مواقعها، قول امرئ القيس في قصديته التي يقول فيها:

وقد أعتدى قبل العُطاسِ بهيكل ... شديدٍ مَشَكَّ الغضا الجنبِ فَعَمِ المنطقُ

قوله:

بعثنا ربيثاً قبل ذلك محملاً ... كذنبِ الغضا يمشي الصَّراءِ ويتقي

فوقعت يتقي موقعاً حسناً.

وكذلك قول النابغة:

تجلو بقادمي حمامة أبكةً ... برداً أُسِفَ لثأتهُ بالإثمدِ

كالأقحوانِ غداةَ غبِّ سماءه ... جفتْ أعاليه وأسفلهُ ندي

زعم الهمامُ بأن فاها باردٌ ... عذبٌ إذا ما ذقته قلت ازدَدِ

زعم الهمامُ ولم أذقه أنه ... يروى بريِّقها من العطشِ الصدي

فقوله وأسفله ندي: ومن العطشِ الصدي وقعا موقعين عجيبيين.

وقول زهير:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علمٍ ما في غدٍ عم

فقوله: عم واقعة موقعاً حسناً.

وكقوله:

صحا القلبُ عن سلمى فقد كان لا يصحو ... واقفرَ من سلمى النعانقُ فالثقلُ

وقد كنت من سلمى سنيماً ثمانياً ... على صبرِ أمرٍ ما يمرُّ وما يجلو

فقوله: يجلو حسنة الموقع.

وكقوله في قصيدته التي يقول فيها:
لذي الحلم من ذبيانٍ عندي مودةٌ ... وحفظٌ ومن يُلحم إلى الشرِّ أنشج
قوله:

مخوف كأنَّ الطَّيرَ في منزلاته ... على جيفِ الحُسرى مجالسُ تنتجى
فقوله: تنتجى حسنة الموقع جداً.
وكقوله:

ولنعم حشُو الدَّرعِ أنتِ إذا ... دُعيت نزالٍ ولجَّ في الدُّعْرِ
وإنَّك تفري ما خلقت وبع ... ض القومِ يخلقُ ثم لا يَغري
ولأنتِ أشجع حين يَتَّبِعُه الأب ... طال من ليثِ أبي أجري
فقوله: ثم لا يفري وأبي أجري حسنان في موقعهما.
وكقول بشر:

فما صدغٌ بحيةٍ أو بشرج ... على زلقِ زوالِ ذي كهافِ
تزلُّ اللقوةُ الشَّعواءُ عنها ... محالُّها كأطرافِ الأسافي

بأحرزَ موثلاً من جارِ أوسٍ ... إذا ما ضيم جيران الضِّعافِ
فقوله: كأطرافِ الأسافي حسنة الموقع.
وكقول الأعشى:

وإذا تكونُ كتيبةٌ ملمومةٌ ... خرساءُ يخشى الذائدون نصالها
كنت المقدم غير لابسِ جَنَّةٍ ... بالسيفِ تضرب معلماً أبطالها
وعلمت أن النفس تلقى حتفها ... ما كان خالقها المليكُ قضى لها
فقوله: قضى لها عجيبة الموقع.
وكقوله:

ومثل الذي تُولونني في يُوتكم ... يُروِّي سناناً كالقُدامي وتعلبا
وما عنده زرفى علمتُ دلالةً ... علي من الريحِ الجنوبِ ولا الصبا
وكذلك قوله:

وكأسٍ شربتُ على لذةٍ ... وأخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناسُ أنني امرؤٌ ... أتيت الفتوة من بابها
فقوله: منها بما لطيفة حسنة الموقع جداً.

وكقول أبي كبير الهذلي:
ولقد ربأتُ إلى الصحابِ تواكلوا ... جَمَرِ الظهيرةِ في اليفاعِ الأطولِ
في رأسٍ مشرفةِ القدالِ كأنها ... جمرٌ بمسبكةٍ تُشبُّ لمصطلي

وَقَهْوَلُ أَبِي خِرَاشِ:

وَلَمْ أُذِرْ مِنْ أَلْتَمَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ ... سِوَى أَنَّهُ قَدْ سُلِّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ
بَلَى إِهْمَا تَعْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّمَا ... تُؤَكَّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي
فَقَوْلُهُ يَمْضِي حَسَنَةً جَيِّدًا.

وَقَهْوَلُ عُرْوَةَ بْنِ أُذَيْنَةَ:

وَكَأَنَّ هَوَى دَانَ عَنِي زَمَانًا ... لَهُ مِنْ بَعْدِ مِيعَتِهِ تَجَلِّي
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ مِنْ بَعْدِ أَلْفٍ ... عَذَلْتُ النَّفْسَ قَبْلَ عُلَى هَوَى لِي
فَإِنْ أَقْصِرْ فَقَدْ أُجْرِيَتْ عَصْرًا ... وَبَلَّانِي الْهَوَى فِيمَنْ يُبَلِّي
فَقَوْلُهُ هَوَى لِي لَطِيفَةٌ الْمَوْقِعِ.

وَقَهْوَلُ ذِي الرِّمَّةِ فِي قَصِيدَتِهِ:

أَرَا حَ فَرِيقُ جَبْرِتِكَ الْجَمَالَا ... كَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَحْتِمَالَا
فَكَدْتَ أَمْوَتَ مِنْ حَزْنٍ عَلَيْهِمْ ... وَلَمْ أَرَ نَادِي الْأَطْعَانَ بَالِي
فَقَوْلُهُ: بَالِي عَجَبِيَّةُ الْمَوْقِعِ.

وَقَهْوَلُ الْفَرَزْدَقِ:

فَإِنْ تَجَّحُّ آلَ الزَّبْرَقَانِ فَإِنَّمَا ... هَجَوْتَ الطَّوَالَ الشَّمَّ مِنْ هَضْبٍ يَذْبَلُ
وَكَأَنَّ يَنْبِحُ الْكَلْبُ النُّجُومَ وَدُونَهُ ... فَرَا سَخُ تَنْضِي الطَّرْفِ لِلْمَتَأَمَّلِ
أَرَى اللَّيْلَ يَجْلُوهُ النَّهَارُ وَلَا أَرَى ... عِظَامَ الْمُخَازِي عَنِ عَطِيَّةِ تَنْجَلِي
فَقَوْلُهُ: تَنْجَلِي مَتَمَكِّنَةٌ فِي مَوْضِعِهَا.

وَقَهْوَلُ الْحَطِيئَةِ:

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ ... لَا يَذْهَبُ الْعَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغِيئَتِهَا ... وَاقْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
فَقَوْلُهُ: الْكَاسِي عَجَبِيَّةُ الْمَوْقِعِ.

وَقَهْوَلُهُ:

إِذَا نَزَلَ الشِّتَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... تَجَبَّ جَارَ بَيْتِهِمُ الشِّتَاءُ
هَمُّ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا أَلَّتْ ... مِنْ الْأَيَّامِ مَظْلَمَةٌ أَضَاءُوا

فَقَوْلُهُ: أَضَاءُوا حَسَنَةٌ الْمَوْقِعِ.

فهذه أمثاله قد احتذى عليها المحدثون من الشعراء وسلوكوا منهاج من تقدمهم فيها، وأبدعوا في أشياء منها
ستعثر بها في أشعارهم كقول أبي عيينة المهلب:

دنيا دعوتك مسمعا فأجيبني ... وبما اصطفتيك للهوى فأثبي

دومي أدم لك بالوفاء على الصفا ... إنني بعهدك واثق فتقي بي

فَقَوْلُهُ: فَتَقِي بِي لَطِيفَةٌ جَدًّا يَسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى حَذَقِ قَاتِلِهَا بِنَسْجِ الشِّعْرِ.

التخلص

ومن الأبيات التي تخلص بها قائلوها إلى المعاني التي أرادوها من مديح أو هجاء أو افتخار أو غير ذلك، ولطفوا في صلة ما بعدها بما فصارت غير منقطعة عنها، ما أبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم، لأن مذهب الأوائل في ذلك واحد، وهو قولهم عند وصف الفيافي وقطعها بسير النوق، وحكاية ما عانوا في أسفارهم: إنا تجشمتنا ذلك إلى فلان يعنون الممدوح: كقول الأعشى:

إلى هودّة الوهّابِ أزجي مطيبي ... أرجي عطاء صالحاً من نوالكا
وكقوله:

أنصيتها بعدما طال الهبابُ بما ... تؤمُّ هودّة لا نكساً ولا ورعاً
يا هودُ إنك من قومٍ أولى حسبٍ ... لا يفشلون إذا ما آنسوا فرعاً
وكقوله:

فذلك شبهته ناقتي ... وما إن لغيرك إعمالها
فمنك ترووب إذا أدبرت ... وقصلك يعطفُ إقبالها
وكقوله:

فعلى مثلها أزورُ بني قي ... سَ إذا شطَّ بالحبيبِ الفراقُ
وكقوله:

إليك ابن جفنة من شقةٍ ... دأبتُ السرى وحسرتُ القلوصاً
تَشكّي إليّ فلم أشكها ... مناسمَ تدمي وخفّاً رهيصاً
يراك الأعادي على رَعْمهم ... تحلُّ عليهم محلاً عويصاً
وكقوله:

وإلى ابن سُلمي حارثٌ قطعَتْ ... عرضَ السّخالِ مطيبيّ تَضعُ
ورثَ السيادةَ عن أوائله ... فأتمَّ أحسنَ ما همُّ صنَعوا
وكقوله:

إلى المرءِ قيسٍ أطيلُ السرى ... وآخذُ من كلِّ حيٍّ عَصمُ
أو يستأنف الكلام بعد انقضاء التشبيب ووصف القبائل والنوق وغيرها فيقطع عما قبله ويبدأ بمعنى المديح:
قول زهير:

وأبيضُ فياضٍ يدها غمامةٌ ... على معنفيه ما تغبُّ نوافلهُ

أو يتوصل إلى المديح بعد شكوى الزمان ووصف محنه وخطوبه فيستجار منه بالممدوح.
أو يستأنف وصف السحاب أو البحر أو الأسد أو الشمس أو القمر. فيقال: فما عرض أو فما مزيداً أو فما محدرأ أو فما الشمس والقمر أو البلر باجود بأشجع أو بأحسن من فلان، يعنون الممدوح، فسلك المحدثون غير هذه السبيل ولطفوا القول في معنى التخلص إلى المعاني التي أرادوها، فمن ذلك قول منصور النمري:

إذا امتنع المقالُ عليك فأمدح ... أميرَ المؤمنين تجذُّ مقالاً
فتى ما إن تزالُ به ركابٌ ... وضعنَ مدائنًا وحملنَ مالا
وقول أبي الشيص:

أكلَ الوجيفُ لحومها ولحومهم ... فاتوك أنقاصاً على أنقاصِ
ولقد أتتك على الخطوب سواخطا ... ورجعن عنك وهن عنه رواضِ
وقهول محمد بن وهب:

حتى استردَّ الليلُ خلعتة ... وبدا خلالَ سوادهِ وضخُ
وبدا الصباحُ كأنَّ غرتهُ ... وجهُ الخليفةِ حينَ يمتدحُ
وقهوله في تخلصه من وصف الديار إل وصف شوقه:
طللانِ طالَ عليهما الأمدُ ... دثرا فلا علمٌ ولا نصدُّ
لبسا البلى فكأتما وجدًا ... بعد الأحيه مثل ما أجدُ
وقهول بكر بن النطاح في تخلصه إلى الافنخار:

ودويّةٍ خلقت للسرّاء ... ب فأمواجه بينها ترخرُ
ترى جنبها بين أضعافها ... حُلولاً كأنهم البربرُ
كأن حنيقةً تحميهم ... فألينهم خشنُ أزورُ
وقهوله:

يا من يريدُ بأنَّ تكلمه الندى ... بلسانِ قاسمِهِ الندى يتكلمُ
مدحُ ابن عيسى قاسمٍ فاسدٌ به ... كلتا يديك الكيمياءُ الأعظمُ
وقهول دعبل:

وميثاءَ خضراءَ زربية ... بها التورُّ يزهرُ من كلِّ فنٍ
ضحوكاً إذا لاعتته الرياحُ ... تأوَدَ كالشَّاربِ المرَّجحنِ
فشبهه صحبي نواره ... بديباج كسرى وعصبِ اليمَنِ
فقلتُ بعدُ ثم ولكنني ... أشبههُ بجنابِ الحسنِ
فتى لا يرى المالَ إلا العطاءَ ... ولا الكثرَ إلا اعتقادِ المننِ
وقهوله:

قالت وقد ذكرتها عهد الصبا ... باليأسِ تمطعُ عادةُ المعتادِ
إلا الإمامِ فإن عادة جوده ... موصولةٌ بزيادة المزدادِ
وقهول عبد الرحمن بن محمد الغساني:
وكانَ الرسومِ أخنى عليها ... بعضُ غاراتنا على الأعداءِ
قوله في تخلصه الى الافنخار أيضاً:

وانهي جمالك ان ينال مقاتلي ... فتصيب قومك سطوة من معشري

وَقَهْوِلْ أَبِى تَمَامِ الطَّائِي:

صَبَّ الْفِرَاقِ عَلَيْنَا صَبًّا مِنْ كَتَبٍ ... عَلَيْهِ اسْحَقُ يَوْمَ الرُّوعِ مَنْتَقِمَا
وَقَهْوِلْ الْبَحْتَرِي:

شَقَائِقُ يَحْمِلْنَ النَّدَى فَكَأَنَّهُ ... دَمَوْعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخِرَائِدِ
كَأَنَّ يَدَ الْفَتْحِ بِنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ ... تَلِيهَا بَتَلِكِ الْبَارِقَاتِ الرُّوَاعِدِ
وَقَهْوِلْ:

بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فَاللَّوَى فَالْأَجْرَعِ ... دَمِنْ حُسْنِ عَلَى الرِّيَاحِ الْأَرْبَعِ

فَكَأَنَّمَا ضَمِنَتْ مَعَالِمَهَا الَّذِي ... ضَمِنْتَهُ أَحْشَاءُ الْحَبِّ الْمَوْجَعِ
وَقَهْوِلْ:

يَجْرُ عَلَى الْغَيْثِ هَدَابَ مَزْنَةٍ ... وَآخِرُهُ فِيهِ وَأَوَّلُهُ عِنْدِي
تَعَجَّلَ عَنْ مِيقَاتِهِ فَكَأَنَّهُ ... أَبُو صَالِحٍ قَدِ بَتَ مِنْهُ عَلَى وَعَدِ
وَقَهْوِلْ:

أَقُولُ لِنَجَاحِ الْعِمَامِ وَقَدْ سَرَى ... بِمَحْتَفَلِ الشُّؤْبُوبِ صَابٍ فَأَفْعَمَا
أَقَلَّ وَأَكْثَرَ لَسْتُ تَبْلَعُ غَايَةَ ... تَبِينُ بِهَا حَتَّى تَضَارِعَ هَيْثَمَا
فَتَى لَبَسْتُ مِنْهُ اللَّيَالِي مُحَاسِنَا ... أَضَاءَ لَهَا الْأَفْقُ الَّذِي كَانَ مَظْلَمَا
وَقَهْوِلْ:

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِنَاقِصَةٍ جَدًّا ... إِذْ بَقِيَ الْفَتْحُ بِنِ خَاقَانَ وَالْقَطْرُ
وَقَهْوِلْ:

أَبْرَقْتُ تَجَلَّى أُمُّ بَدَا بِنِ مَدْبَرٍ ... بَغْرَةَ مَسْؤُولٍ رَأَى الْبِشْرَ سَائِلُهُ
وَقَهْوِلْ:

أَدَارُهُمُ الْأَوَّلَى بَدَارَةَ جُلْجُلٍ ... سَقَاكَ الْحَيَا رُوحَاتِهِ وَبِوَاكِرُهُ
وَجَاءَكَ يَحْكِي يَوْسُفَ بِنِ مُحَمَّدٍ ... فَرَوْتِكَ رِيَاءَهُ وَجَادَكَ مَاطِرُهُ
وَقَهْوِلْ:

كَانَ سَنَاهَا بِالْعَشِيِّ لَشْرِبِهَا ... تَبْلُجُ عَيْسَى حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ
وَقَهْوِلْ:

آلَيْتُ لَا أَجْعَلُ الْإِعْدَامَ حَادِثَةً ... تُخْشَى وَعَيْسَى بِنِ إِبْرَاهِيمِ لِي سَنَدُ
وَقَهْوِلْ وَهَبِ الْهَمْدَانِي:

وَأَطْلُبِ الرَّيْفَ يَا نَدِيمِي وَالرَّ ... يَفُ فِي الْأَرْضِ حَيْثُ إِسْمَاعِيلِ
وَقَهْوِلْ:

أَيَّامُ غَضَنِ الشَّبَابِ يَهْتَزُّ ... كَالْأَسْمَرِ فِي رَاحَةِ ابْنِ حَمَّادِ

وَقَوْلُهُ:

لَا وَالَّذِي سَنَّ لِلْمَدَامَةِ وَال ... مَاءَ نِكَاحًا بغيرِ تَطْلِيقِ
مَا مَقَلَّتْ مَقْلَتَايَ اسْمَعُ فِي الْع ... الْم مِنْ أَحْمَدِ بْنِ مَسْرُوقِ
وَقَوْلِ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ:

وغيثٍ تَأَلَّفَهُ نَوْءُهُ ... وَأَلْبَسَهُ غَلَلًا أَرْمَدًا
تَظَلُّ الرِّيحُ تُهَادِي بِهِ ... إِذَا مَا تُحِيرُ أَوْ عَرَدًا
صَدُوقِ المِخِيلَةِ وَإِنِّي الظَّلَا ... لَ قَدْ وَعَدَ الأَرْضَ أَنْ تَرَعِدَا
كَأَنَّ تَوَالِيَهُ بِالْعَرَا ... ءِ أَهْوَى إِلَى الجَلْمَدِ الجَلْمَدَا
تَدَاعِي تَمِيمِ غَدَاةِ الجِفَارِ ... تَدْعُو زَرَارَةَ أَوْ مَعْبَدًا
وَقَوْلِ عَلِيِّ بْنِ الجَهْمِ:

وَسَارِيَةٍ تَرْتَادُ أَرْضًا تَجُودُهَا ... شَغَلَتْ بِهَا عَيْنًا قَلِيلًا هَجُودُهَا
أَتَنَّا بِهَا رِيحُ الصَّبَا وَكَأَنَّمَا ... فِتْنَةٌ تَرْجِيهَا عَجُوزٌ تَقُودُهَا
فَمَا بَرَحَتْ بَغْدَادَ حَتَّى تَفْجُرَتْ ... بِأَوْدِيَةِ مَا تَسْتَفِيقُ مُدُودُهَا
فَلَمَّا قَضَتْ حَقَّ العِرَاقِ وَأَهْلَهُ ... أَتَاهَا مِنَ الرِّيحِ الشَّمَالِ يُرِيدُهَا
فَمَرَّتْ كَفُوتِ الطَّرْفِ سَعِيًّا كَأَنَّمَا ... جُنُودُ عِبِيدِ اللّهِ وَلَّتْ بِنُودُهَا
وَقَوْلُهُ:

وَتَرَنَ وَلِلصَّبَاحِ مَعْقِبَاتٌ ... تُقَلِّصُ عَنْهُ أَعْجَازَ الظَّلَامِ
فَلَمَّا أَنْ تَجَلَّى قَالِ صَحْبِي ... أَضْوَاءُ الصَّبَاحِ أَمْ ضَوْءُ الإِمَامِ
وَقَوْلِ أَبِي العَمْرِ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدِ الرَّاظِيِّ:
مَكْفَهْرٌ تَرْنَحُ أَعْطَافُهُ رَجًّا ... كَمَا جَاوَبَ المَطْيَ المَطْيَ
وَتَلَالَا كَأَنَّمَا فِي حَشَاةٍ ... حَبَلٌ حَانَ وَضَعَهُ حَوَلُ
ظَلٌّ يَحْكِي بِجُودِهِ جُودَ كَفِّي ... مَلِكٍ سَيِّبُهُ هَنِيٌّ مَرِيٌّ
وَقَوْلِ البَحْتَرِيِّ:

سَقِيَتْ رِيَابُكَ بِكُلِّ نَوْءٍ جَاعِلٍ ... مِنْ وَبَلِهِ حَقًّا لَهَا مَعْلُومًا
فَلَوْ أَنِّي أُعْطِيتُ فِيهِنَّ المَنَى ... لَسَقَيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبرَاهِيمَا
وَقَوْلُهُ:

قُلْ لِدَاعِي العِمَامِ: لِيَبِكْ وَاحْلُلْ ... عُقْلَ العَيْسِ كِي تَجِيبَ الدَّعَاةَ
عَارِضٌ مِنْ أَبِي سَعِيدِ دَعَايَ ... بَسْنَا بَرَقَهُ غَدَاةَ تَرَايَ
وَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ:

إِسَاءَةَ الحَادِثَاتِ اسْتَبْطَنِي نَفَقًا ... فَقَدْ أَطَّلَكَ إِحْسَانُ ابْنِ حَسَّانِ
وَقَوْلُهُ:

يا صاحبيّ تفصيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصوّر
ترياً نهاراً مشرقاً قد شابه ... زهر الربا فكأنما و مقمّر
خلق أطل من الربيع كأنه ... خلق الإمام وهدية المتيسر
وقوله:

إن الذي خلق الخلائق قاتها ... أقواتها لتصرف الأحرار

فالأرض معروف السماء قرى لها ... وبنو الرجاء لهم بنو العباس
القوم ظل الله أسكن دينه ... فيهم وهم جبل الملوك الراسي
وقوله:

يجاهد الشوق طوراً ثم يتبعه ... مجاهدات القوافي في أبي دلفا
وكهوله:

إذا العيسُ وافت بي أبادلف فقد ... تقطع ما بيني وبين النوائب
وقوله:

تداو من شوقك الأقصى بما صنعت ... خيل ابن يوسف والأبطال تطرد
ذاك السرور الذي آلت بشاشته ... ألا يجاورها في مهجة كمد
وقوله:

لم يجتمع قط في مصر ولا طرف ... محمد بن أبي مروان والثوب
وكهوله:

ولقد بلون خلائقي فوجدتني ... سمح اليدين بئذ و د مضمّر
يعجبني مني إن سمحت بمهجتي ... وكذاك أعجب من سماحة جعفر
ملك إذا الحاجات لذن بحقه ... صافحن كف نواله الميسر

الشعر البعيد الغلق

وينبغي للشاعر أن يجنب الإشارات البعيدة، والحكايات الغلقة، والإيماء المشكل، ويعتمد ما خالف ذلك،
ويستعمل من انجاز ما يقارب الحقيقة، ولا يبعد عنها، ومن الاستعارات ما يليق بالمعاني التي يأتي بها، فمن
الحكايات الغلقة والإشارات البعيدة قول المتعب في وصف ناقته:

تقول وقد درأت لها وضيبي ... أهذا دينه أبداً وديني
أكل الدهر حل وارتحال ... أما يُبقي علي ولا يقيني

فهذه الحكاية كلها عن ناقته من انجاز المبادئ للحقيقة، وإنما أراد الشاعر أن الناقة لو تكلمت لأعربت عن
شكواها بمثل هذا القول. والذي يقارب الحقيقة قول عنتره في وصف فرسه:

فازور عن وقع القنا بلبانه ... وشكا إلي بعبرة وتحمم

وقول بشار:

غدت عانة تشكو بأبصارها الصدى ... إلى الجأب إلا أنّها لا تخاطبه
ومن الإيماء المشكل الذي لا يفهم، وقد أفرط في حكايته قول الآخر:
أومت بكفيها من الهودج ... لولاك هذا العام لم أحجج
أنت إلى مكة أخرجني ... حُبياً ولولا أنت لم أخرج
فهذا الكلام كله ليس مما يدل عليه إيماء ولا تعبر عنه إشارة.

ملاءمة معاني الشعر لمبانيه

وليست تخلو الأشعار من أن يقتصر فيها أشياء هي قائمة في النفوس والعقول، فيحسن العبارة عنها وإظهار ما يكمن في الضمائر منها فيبتهج السامع لما يريد عليه مما قد عرفه طبعه وقبله فهمه، فيثار بذلك ما كان دفيناً ويبرز به ما كان مكنوناً، فيكشف للفهم غطاؤه، فيتمكن من وجدانه بعد العناء في نشدانه، أو تودع حكمة تألفها النفوس، وترتاح لصدق القول فيها وما أتت به التجارب منها، أو تضمن صفات صادقة وتشبيهات موافقة، وأمثالاً مطابقة تصاب حقائقها، ويلطف في تقريب البعيد منها، فيؤنس النافر الوحشي حتى يعود مألوفاً محبوباً، ويبعد المألوف المأنوس به حتى يصير وحشياً غريباً، فإن السمع إذا ورد عليه ما قد مله من المعاني المكررة والصفات المشهورة التي قد كثر وردوها عليه مجه وتقل عليه رعيه، فإذا لطف الشاعر لشوب ذلك بما يلبسه عليه، فقرب منه بعيداً أو بعد منه قريباً، أو جمل لطيفاً، أو لطف جليلاً أصغى إليه ودعاه واستحسنه السامع واجتباها. وهذا تطريق إلى تناول المعاني واستعارتها، والتلطف في استعمالها على اختلاف جهاتها التي تناول منها، كما نبهنا عليه قبل، أو تضمن أشياء يوجبها أحوال الزمان على اختلافه وحوادثه على تصرفها، فيكون فيها غرائب مستحسنة وعجائب بديعة مستطرفة، من صفات وحكايات ومخاطبات في كل فن توجه الحال التي ينشأ قول الشعر من أجلها، فتدفع به العظام وتسل به السخائم، وتخلب به العقول، وتسحر به الأبواب لما يشتمل عليه من دقيق اللفظ ولطيف المعنى. وإذ قد قالت الحكماء إن للكلام الواحد جسداً وروحاً. فجسده النطق وروحه معناه، فواجب على صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة، لطيفة مقبولة حسنة، مجتلية لمحبة السامع له والناظر بعقله إليه، مستدعية لعشق المتأمل في محاسنه، والمنفوس في بدائعه، فيحسه جسماً ويحققه روحاً، أي يتيقنه لفظاً، ويبدعه معنى، ويجتنب إخراجها على ضد هذه الصفة فيكسوه قبحاً ويبرزه مسخاً، بل يسوي أعضائه وزناً، ويعدل أجزاءه تأليفاً، ويحسن صورته إصابه، ويكثر رونقه اختصاراً، ويكرم عنصره صدقاً، ويفيده القبول رقة ويحصنه جزالة، ويدنيه سلاسة وينأى به إعجازاً، ويعلم أنه نتيجة عقله، وثمره لبه وصورة علمه، والحاكم عليه أوله.

مفتاح الشعر مطلقه

وينبغي للشاعر أن يحتز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير به أو يستجفى من الكلام والمخاطبات، كذكر البكاء ووصف إفقار الديار، وتشتت الألاف ونعي الشباب، وذم الزمان. لا سيما في القصائد التي تضمن المدائح أو النهائي. وتستعمل هذه المعاني في المرثي ووصف الخطوب الحادثة، فإن الكلام إذا كان مؤسساً على هذا المثال تطير منه سامعه، وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح، فيجتنب، مثل ابتداء قول الأعشى:

ما بكاء الكبير بالأطلال ... وسؤالي وهل ترد سؤالي
دمنة قفرة تعاورها الصي ... ف بريحين من صباً وشمال
ومثل قول ذي الرمة:

ما بال عينك منها الدمع ينسكب ... كأنه من كلى مفرية سرب
وقد أنكرو الفضل بن يحيى البرمكي على أبي نواس قوله:
أربع البلى إن الخشوع لبادي ... عليك وإني لم أحنك ودادي
وتطير منه فلما انتهى إلى قوله:

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم ... بني برمك من راتحين وغادي
استحكم تطيره، فيقال إنه لم ينقص إلا أسبوع حتى نزلت به النازلة. وأنشد البحري أبا سعيد محمد بن يوسف النعري قصيدته التي أوجها:

لك الويل من ليل تطاول آخره ... ووشك نوى حي ترم أباعره
فقال له أبو سعيد: الويل لك والحرب.

وليجتنب في التشبيب من يوافق اسمها بعض نساء الممدوح من أمة أو قرابة أو غيرها، وكذلك ما يتصل به سببه أو يتعلق به وهمه، فإن أرطاة بن سهية الشاعر دخل على عبد الملك بن مروان فقال له: ما بقي من شعرك فقال: ما أطرب ولا أحزن يا أمير المؤمنين وإنما يقال الشعر لأحدهما. ولكني قد قلت:
رأيت الدهر يأكل كل حي ... كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبغي المنية حين تغدو ... سوى نفس ابن آدم من مزيد
وأحسب أنهما ستكر يوماً ... توفي نذرهما بأبي الوليد

فقال له عبد الملك: ما تقول ثكنتك أمك فقال: أنا أبو الوليد يا أمير المؤمنين. وكان عبد الملك يكنى أبا الوليد أيضاً، فلم يزل يعرف كراهة شعره في وجه عبد الملك إلى أن مات.
فليجتنب الشاعر هذا وما شاكله مما سبيله كسبيله، وإذا مر له معنى يستبشع اللفظ به لطف في الكناية عنه وأجل المخاطب عن استقباله بما يتكرهه منه وعدل اللفظ عن كاف المخاطبة إلى ياء الإضافة إلى نفسه إن لم ينكر الشعر، أو احتال في ذلك بما يحتز به مما ذمناه ويوقف به على أرب نفسه ولطف فهمه كقول القائل:
ولا تحسبن الحزن يبقي فإنه ... شهاب حريق واقد ثم خامد
سآلف فقدان الذي قد فقدته ... كإلهك وجدان الذي أنت واجد

وإنما أراد الشاعر: ستألف فقدان الذي قد فقدته كإلـك وجدان الذي قد وجدته؛ أي تنعزى عن مصيبتك بالسلو فانظر إليه كيف لطف في إضافة ذكر المفقود الذي يتطير منه إلى نفسه، وما يتفاد إلى من الوجدان إلى المخاطب، فجعل الموجود المألوف للمعزى، والمفقود لنفسه. ويحكى أن أبا دلف استنشد أبا حكيمة راشداً الكاتب بعض ما رثى أيره وأعجب بما سمعه من معاني قوله في ذلك الفن فانشده:

ألا ذهب الأير الذي كنت تعرف
فقال له أبو دلف: أمك كانت تعرف.

تأليف الشعر

وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبـحه فيلائم بينها لتنظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتداء وصفه وبين تمامه فضلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه، فينسى السامع المعنى الذي يسوق القول إليه، كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت، فلا يباعد كلمة من أختها، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها، ويفقد كل مصراع، هل يشاكل ما قبله، فرما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، فلا يتنبه على ذلك إلا من دق نظره ولطف فهمه. وربما وقع الخلل في الشعر من جهة الرواة والناقلين له فيسمعون على جهة ويؤدونه على غيرها سهواً، ولا يتذكرون حقيقة ما سمعوه منه، كقول امرئ القيس:

كأني لم أركب جواداً للذة ... ولم أتطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل ... لخيلي كرى كرة بعد إـفـال
هكذا الرواية وهما بيتان حسنان، ولو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسج فكان يروي:

كأني لم أركب جواداً ولم أقل ... لخيلي كرى كرة بعد إـفـال
ولم أسبأ الزق الروي للذة ... ولم أتطن كاعباً ذات خلخال
وكقول ابن هرمة:

وإني وتركي ندى الأكرمين ... وقدحي بكفي زناداً شحاحاً
كتاركة بيضها في العراء ... وملبسة بيض أخرى جناحا
وقال الفرزدق:

وإنك إذ تمجو تيمماً وترثي ... سراييل قيس أو سحوق العمائم
كمهريق ماء بالفلاة وغره ... سراب اذاعته رياح السمائم

كان يجب أن يكون بيت لابن هرمة مع بيت للفرزدق، وبيت للفرزدق مع بيت لابن هرمة فيقال:

وإني وتركي ندى الأكرمين ... وقدحي بكفي زناداً شحاحاً
كمهريق ماء بالفلاة وغره ... سراب اذاعته رياح السمائم

ويقال:

وإنك إذا هجوت تميماً وترتشي ... سراويل قيس أو سحوق العمائم
كتاركة بيضها بالعراء ... وملبسة بيض أخرى جناحا
حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعاً وإلا كان تشبيهاً بعيداً غير واقع موقعه الذي أريد له. وإذا تأملت أشعار
القدماء لم تعلم فيها أبياتاً مختلفة المصاريح. كقول طرفة:
ولست بجلال التلاع مخافة ... ولكن متى يسترفد القوم ارفد
فالمصرع الثاني غير مشاكل للأول، كقول الأعشى:
وإن امرءاً أهواه بيني وبينه ... فيأف تنوفات وبهماء خيفق
لحقوقة أن تستجيبى لصوته ... وأن تعلمي أن المعان موفق
فقوله: وأن تعلمي أن المعان موفق غير مشاكل لما قبله.
وكقوله:

أغر أبيض يستسقي الغمام به ... لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا

فالمصرع الثاني غير مشاكل للأول وإن كان كل واحد منهما قائماً بنفسه. وأحسن الشعر ما ينتظم القول
فيه انتظاماً يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل
الرسائل والخطب إذا نفض تأليفها، فإن الشعر إذا أسس فصول الرسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة
المستقلة بذاتها، والأمثال السائرة الموسومة باختصارها لم يحسن نظمه، بل يجب أن تكون القصيدة كلها
ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجاً وحسناً وفصاحة، وجزالة ألفاظ، ودقة معان وصواب تأليف،
ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً على ما شرطناه في أول
الكتاب، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إ فراغاً، كالأشعار التي استشهدنا بها في الجودة والحسن واستواء
النظم، لا تناقض في معانيها، ولا وهي في مبانيها، ولا تكلف في نسجها، تقتضي كل كلمة ما بعدها،
ويكون ما بعدها متعلقاً بما مفتقراً إليها. فإذا كان الشعر على هذا المثل سبق السامع إلى قوافيه قبل أن
ينتهي إليها رواية، وربما سيق إلى إتمام مصرع منه إصراراً يوجبه تأسيس الشعر كقول البحري:

سليل البيض قبرها فأقاموا ... لظباها التأويل والتنزيلا

فيقتضي هذا المصرع أن يكون تمامه: وإذا سالموا أعزوا ذليلاً وكقوله:

أحلت دمي من غير جرم وحرمت ... بلا سبب يوم اللقاء كلامي

فداؤك ما أبقيت مني فإنه ... حشاشة صب في نحول عظامي

صلي مغرمًا قد واطر الشوق دمعه ... سجاما على الخدين بعد سجام

فليس الذي حللته بمحلل.

يقتضي أن يكون تمامه: وليس الذي حرمته مجرام.

وأحسن الشعر ما يوضع فيه كل كلمة موضعها حتى يطابق المعنى الذي أريدت له ويكون شاهداً معها لا

تحتاج إلى تفسير من غير ذاتها كقول جنوب أخت عمرو ذي الكلب:
فأقسمت يا عمرو لو نبأك ... إذا نبها منك داه عضلا
إذا نبها ليث عريسة ... مقيتاً، مفيداً نفوساً ومالا
وخرق تجاوزت مجهوله ... بوجناء حرف تشكى الكلالا
فكنت النهار به شمسه ... وكنت دجى الليل فيه الهلالا
فتأمل تنسيق هذا الكلام وحسنه. وقولها مقيتاً ثم فسرت ذلك فقالت نفوساً ومالا، ووصفته فماراً بالشمس،
وليلاً بالهلال، فعلى هذا المثال يجب أن ينسق الكلام صدقاً لا كذب فيه، وحقيقة لا مجاز معها فلسفياً كقول
القائل:

وفي أربع مني حلت منك أربع ... فما أنا دار أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الريق في فمي ... أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

القوافي

وسألت أسعدك الله عن حدود القوافي، وعلى كم وجه تتصرف قوافي الشعر قوافي الشعر كلها تنقسم على
سبعة أقسام: أما أن تكون على فاعل مثل كاتب وحاسب وضارب، أو على فعال مثل كتاب وحساب
وجواب، أو على مفعول مثل مكتب ومضرب ومركب، أو على فعيل مثل حبيب وكنيب وطبيب. أو على
فعل مثل ذهب، وحسب وطرب، أو على فعل مثل ضرب، وقلب، وقطب. أو على فعيل مثل كليب،
ونصيب وعذيب. على هذا حتى تأتي على الحروف الثمانية والعشرين، فمنها ما يطلق ومنها ما يقيد ثم
يضاف كل بناء منها إلى هائنها المذكر أو المثنى، فيقول كاتبه أو كاتبها، أو كتابها، أو مركبة، أو مركبها، أو
حبيبها، أو حبيبتها، أو ذهبها أو ضربها أو ضربها، أو كليبها أو كليبها، ويتفق هذا في الرجز. فهذه
حدود القوافي التي لم يذكرها أحد ممن تقدم، فأدرها على جميع الحروف واختار من بيتها أعذبها وأشكلها
للمعنى الذي تروم بناء الشعر عليه إن شاء الله. نفعك الله بفهمك ومتعك بعلمك وأسعدك في الدارين بمنه
ورأفته.